الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف لميلة

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الدّلالة المعجميّة وظلالها

قصيدة "في القدس" لتميم البرغوثي

- أُنموذجا-

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

شعبة: الدراسات اللغوية

تخصص: اللسانيات التطبيقية

إعداد الطالب(ة):

- سماح دوخان

إشراف الأستاذ(ة):

- ياسر بومناخ

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

اللهم انفعنا بما علمتنا وعلمنا ما ينفعنا وزدنا علما

اللهم أضئ بالعلم طريقنا، وقوي به سواعدنا

وأشدد به من عزائنا

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم وأكرمنا بنور الفهم

وافتح علينا بمعرفة العلم، وحسن أخلاقنا بالحلم

اللهم ارزقنا العلم النافع الذي يقربنا منك

اللهم بعزتك وجلالك أحفظنا من شتات الأمر ومس

الضر وضيق الصدر وعذاب القبر وحلول الفقر وتقلب

الدهر والعسر بعد اليسر والعقوق بعد البر وأمن

علينا بدوام العافية والستر.

شكـــر وتقديـــر

قال الشاعر:

لو أنني أوتيت كل بلاغة وأفنيت بحر النطق في النظم

لما كنت بعد إلا مقصرا ومعترفا بالعجز عن واجب الشكر

إنه ليسعدني ويشرفني أن أعبر بكلمة شكر متواضعة لأهل الفضل الذين قدموا لي يد العون.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان الى الأستاذ المشرف " ياسر بومناح " على كل ما منحه لي من اهتمام وتوجيهات قيمة لإكمال هذا البحث المتواضع.

كما أتقد بالشكر الى كل من وضع بصمته في هذا البحث من قريب أو من بعيد.

إهـــداء

الحمد لله خالق الوجود، الموجود قبل كل موجود، دائم العطاء والجود والصلاة والسلام على خير الأنام محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعه إلى يوم الدين.

أما بعد أهدي عملي المتواضع وثمرة جهدي هذا إلى:

إلى التي انتظرت لحظة تخرجي بكل صبر، إلى التي أكن لها أجمل تعابير الحب، إلى الغالية أمي حفظها الله.

إلى الذي تعلمت منه المثابرة والوفاء، إلى رمز الاخلاص أبي الغالي حفظه الله.

إلى اللواتي تحلى الحياة بوجودهن، وتطرب الأذن لسماع أصواتهن أخواتي الغاليات:

سارة – حنان – نجاة.

إلى الذي ملئ لنا البيت بعفويته الى من يسكن حبه فلدة فؤادي الى أخي الوحيد كريم

إلى الذي بث فيي روح الحياة من جديد، إلى الذي يشاركني أدق تفاصيل حياتي،إلى الغالي زوجي المستقبلي خالد.

إلى أجمل الخلق، وألطفهم أخوالي الأعزاء

محمد – عبد الكريم – حسن – مصطفى – عبد المالك.

إلى الغاليين على قلبي جدي وجدتي

إلى أحبائي أعمامي: عاشور – الطاهر – عبد الرزاق – أحمد – علاوة .

إلى عماتي وخالاتي أسمى معاني التقدير

إلى رفيقات الدرب: فوزية – حليمة – هالة – خديجة - أحلام ...

إلى كل الكتاكيت الصغيرة

إلى كل عائلة بوغادي

إلى كل من ذكرتهم ذاكرتي ونسيتهم مذكرتي

سماح

مقـــــــدمـــــــــة

عندما نتكلّم عن الدّلالة نتكلّم عن عنصر أساسي ومكوّن من مكونات اللّغة ؛ إذ أنّها تمثّل مستوى من مستوياتها والتي تتظافر وتتكاتف بعضها مع بعض لبيان معنى معين، وموضوع الدّلالة ليس موضوعا حديث النشأة وإنّما تَضْرُبُ امتداداته في أعماق التاريخ عند كل من العرب، واليونان، والهنود وغيرهم من الشعوب ؛ فبالرّغم من أنَّها لم تكن ممنهجة بشكل علمي إلاّ أنّها أُدرجت ضمن مختلف العلوم كالنحو، والصّرف، وأصول الفقه، وغيرها من التّخصصات.

وقد تناولها القدماء على محمل الجد وبذلوا فيها جهودا جبّارة، فأضحت بذلك ملاذ الباحثين والمتخصصين إذا ما تعلق الأمر بحقيقة ظهورها وبدايتها الأولى، لكن مع مرور الزمن وتطور العلوم أصبح لها وجود قار بذاته، وهوية علميّة محضة كانت على أيادي غربية أمثال سويسر وميشال وبريال.

وبما أنّ الدّلالة مستوى من مستويات اللّغة كما وسبق أنّ ذكرنا، هي أيضا تنقسم بدورها إلى عدّة دلالات حسب تلك المستويات فنجد الدّلالة الصوتية، والدّلالة الصرفية، والدّلالة المعجمية، والتي هي موضوع بحثنا.

تمثّل الدّلالة المعجميَّة الناحية السُّكونية للغة ؛ بمعنى أنّ عملها لا يتجلّى للعيان إلاّ عند الاستعمال اللّغوي، إذ تُعد اللّبنة الأولى التي تُؤسس للمعاني، ومختلف الدّلالات ومن بين هذه الدّلالات الدّلالة الهامشيّة.

تُظْهر الدّلالة الهامشيّة في هذا العمل الجوانب الخفية للمرحلة السياسية التي عاشتها القدس في ما مضى، وما زالت تعيشها إلى حد اليوم في صراعها مع قوات الاحتلال الصهيوني، ومن هنا يأتي البحث بوصفه محاولة لتسليط الضوء على جميع الظلال التي احتوت القصيدة عليها.

وعلى هذا الأساس جاءت إشكالية البحث للغوص في مجموع الدّلالات التي أوردها تميم البرغوثي، فأين تجلّت الدّلالات الهامشيّة في قصيدة " في القدس " ؟ وماذا نقصد بالدّلالة المعجمية ؟، وهل لدّلالة الهامشيّة مكانة في المجال الأدبيِّ وغيره من المجالات أم لا ؟.

للإجابة على هذه التساؤلات تولدت لدينا مجموعة من الفرضيات نلخّصها في:

- المركز والهامش من أهم مباحث الدّلالة.

- قصيدة " في القدس " تتمحور حول مجموعة من الدّلالات الهامشيّة.

كما يعود اختياري لموضوع الدّلالة المعجمية وظلالها قصيدة " في القدس " أنموذجا لتميم البرغوثي لأسباب منها:

- قراءة شعر تميم البرغوثي بآلية جديدة في الجانب التأويلي، إذ تُعدُّ القصيدة فضاء خصبًا لتطبيق المركز والهامش.

- استقراء القصيدة والولوج من خلالها إلى عوالم الأديب، وإلى أيّ مدى وُفِّق بحسِّه المرهف إلى اختيار المفردات ومختلف الكلمات.

ولأهمية هذا البحث كانت هناك أعمال أُثيرت حول هذا الموضوع نذكر منها:

الدّلالة الهامشيّة لألفاظ الليل في ديوان – الأعشى – لميمون قيس أطروحة دكتوراه، المركز والهامش في أدب عسى لحيلح دليلة الباح أطروحة دكتوراه.

وقد بُنيَ هذا البحث وفق الإشكالية السابقة الذّكر، وعلى خطة مفصّلة تنقسم إلى مقدمة، وفصلين، وخاتمة.

فكان الفصل الأول بعنوان " بين الدّلالة وعلم المعاجم " وفيه تمت دراسة المركز والهامش، كيفية اكتساب الدّلالة المركزيّة دلالة هامشيّة، الدّلالة الهامشيّة في الأدب نوعا الدّلالة الهامشيّة.

وفيما يخصّ الفصل الثاني فحاولنا فيه إبراز الدّلالات الهامشيّة في القصيدة، فجاء موسوما بـــ " تجليات الدّلالة الهامشيّة في القصيدة " كما تضمن تقديم حول القصيدة ونمط بنائها، هامشية العنوان، هامشية مقاطع القصيدة من المقطع الأول إلى المقطع الخامس عشر.

وبعد هذا جاءت خاتمة البحث التي كانت عبارة عن خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها خلال مسيرتنا البحثية، ثم أرفقناها بمكتبة البحث المتمثّلة في المصادر والمراجع، وكذلك فهرس المخّططات والملحق الذي تمثّل في القصيدة النموذج.

وقد تطلّب البحث تطبيق المنهج السميائي الذي تخلّلته آليات التحليل كما تطلبت الدّراسة.

وخلال هذه المسيرة في ميدان البحث لا أنكر مواجهتنا لبعض الصعوبات منها:

عدم توفر الديوان لأسباب سياسية، تربّع القصيدة على جملة من الدّلالات الهامشيّة التي من الصعوبة بما كان الوصول إليها.

لكن بفضل الله عز وجلّ استطعنا التغلب على الكثير من المشكلات والصعوبات التي اعترضت طريقنا.

كما لا أنس دور الأستاذ المشرف ياسر بومناح الذي أدّى مهمته على أكمل وجه فكان أحسن مرشد، وناصح، ومعين في عمل هذا، ولا أنس اللّجنة المناقشة التي أخذت على عاتقها قراءة بحثي هذا، وتقويمه، وتقيمه فلها مني أجل معاني التقدير .

وكذلك الشكر موصول إلى كل من وضع بصمته في هذا البحث من قريب أو بعيد، إليكم مني جزيل الشكر وأسمى عبارات التقدير.

الفصل الأول

بين علم الدّلالة وعلم المعاجم

1- علم الدّلالة.

2- علم المعجم.

3- المركز والهامش في الدّلالة.

1- الدّلالة

1- 1- الدّلالة لغة

على الرغم من تباعد الفترة الزمنيّة بين إخراج معجم وآخر، إلاّ أنّ كلّ المعاجم تتفق في إعطاء مفهوم واحد لمادة د- ل- ل، ورد في لسان العرب: "الدَّلِيلُ: ما يُستِدلُّ به والدَّلِيلُ: الدَّالُّ، وقد دَلَّهُ على الطريق يَدُلهُ دَلاَلَةً ودِلاَلَةً ودُلُولَةً، والفتح أعلى" [1] وجاء في القاموس المحيط: "الدّالة ما تدلُّ به على حميمك ودلَّهُ عليه دَلاَلَةً [2] وفي التهذيب: " دَلَّ يَدُلُّ إذا هَدَى " [3] وورد في القاموس الوسيط: " دَلَّ عليه وإليهِ ... و يُقال: دَلَّهُ على الطريق ونحوه سدَّدَه إليه، فهو دَالٌّ وَالمفعُول: مَدلُولٌ إليهِ وعليهِ ... والدّلالة الإرشَادُ وما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه ج دَلائِل ودَلاَلات.[4]

مما سبق يتضح لنا أنّ الدّلالة من الجِذر دَلَلَ وتعني الوضوح والإرشاد والبيان والتسديد كما أوردها المعجميون.

وقد نالت لفظة دَلالة حظا وافرا في القرآن الكريم في العديد من السور قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُم إِذَا مَزّقتُم كُلَّ مُمَزَقٍ إِنَّكُم لَفِي خُلُقٍ جَدِيد ﴾ [سورة سبأ الآية 7]

---

[1]- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب. ج 11 تح: مادة د_ل_ل، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1300ه، ص 249.248.

[2]- الفيروز أبادي الشيرازي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط. ج3، فصل الدال باب اللام مادة (دلَّ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1979م، ص365.

[3]- الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. تح: عبد السلام هارون، ج14، باب الدال واللام، الدار المصرية، القاهرة ،مصر، ط 1979م، ص66.

[4]- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة دلّ المكتبة الشروق العربية. مصر، ط4، 2004م، ص294.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ [سورة طه الآية 40]

وقوله تعالى: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾ [سورة سبأ الآية 11]

وقوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ [سورة القصص الآية 12]

1- 2- الدّلالة في الاصطلاح

من المعلوم أنّ الدّلالة علم حديث النشأة، أرسى مبادئه علماء غربيون كما ترعرعت أصوله، ومباحثه في ظل مخاض الدّراسات اللّسانية الحديثة على اختلافها، وتنوُّعها في جميع التّخصصات لكن هذا لا يعني أنّه ليس لدراسات أخرى بحث في مجال الدّلالة، والبداية مع العلماء الهنود قديما "حيث كان كتابهم الديني (الفيدا) منبع الدّراسات اللغوية والألسنية على الخصوص"[1]. فلقد درس الهنود مختلف الأصناف التي تشكّل الموجودات، وقسّموا دَلالات الكلمات بناء على ذلك إلى أربعة أقسام:[2]

1 -قسم يدل على مدلول عام أو شامل مثل لفظ: (رجل)

2 -قسم يدل على كيفية مثل كلمة (طويل)

3 -قسم يدل على حدث مثل الفعل (جاء)

4 -قسم يدل على ذات مثل الاسم (محمد)

---

[1]– منقور عبد الجليل، علم الدّلالة. أصوله ومباحثه في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2001 م ص14.

[2]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة. عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1985م، ص19.

وبعد الهنود نشيِّد بعمل الفلاسفة اليونانيين اللّذين عالجوا موضوعات تعدُّ من صميم علم الدّلالة؛ إذ أنّ أرسطو قال بالفرق بين الصوت والمعنى، وذكر انّ المعنى هو التصور الموجود في الذهن كما ميز بين ثلاثة أمور[1]:

1 -الأشياء في العالم الخارجي.

2 -التصورات = المعاني.

3 -الأصوات = الرمز أو الكلمات.

كما كان للعرب مثلهم مثل باقي الشعوب الأخرى إسهامات في الدرس الدلالي ؛ إذ كانت بصمتهم واضحة جليةّ للأعيان رغم كون بحثهم الدلالي مندرج ضمن علوم أخرى: كالنحو، والصرف، وأصول الفقه، وغيرها وذلك " بحكم مميزات حضارتهم وبحكم اندراج نصّهم الديني في صلب هذه المميزات، وقد دعوا إلى تفكر اللغة في نظامها وقدُسيّتها ومراتب إعجازها فأفضى بهم النظر لا إلى درس شمولي كوني للغة فحسب، بل قادهم النظر أيضا إلى الكشف عن كثير من أسرار الظاهرة اللسانية مما لم تهتد إليه البشرية إلاّ مؤخرا بفضل ازدهار علوم اللسان منذ مطلع القرن العشرين".[2]

أولى العرب اهتماما كبيرا بنصِّهم القرآني ؛ حيث لا نكاد نجد دراسة إلاّ وكان للقرآن نصيب منها، فراحوا يدرسون مواطن الإعجاز فيه، ومختلف الظواهر النّحوية، والصّرفية وغيرها من القضايا وكثيرا ما نجد هذه الأعمال منحدرة في كتب البلاغيين، والأصوليين، كل هذا جعل العديد من العلماء والمفكرين ينظرون في قدسية اللغة التي نالت بدورها شرفا ومكانة مرموقة كيف لا وقد أُنزل القرآن بحروفها، كما ساهمت مختلف الدراسات

---

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة، ص 17.

[2]– عبد السلام لمسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986، ص26.

المقرونة بالنّص الديني في الكشف عن آفاق وتطلعات كبيرة فيما يخص البحث اللساني لم يسبق للبشريّة التّطرُّق إليها إلا مؤخرا.

ويُعرِّف الشريف الجرجاني الدّلالة بقوله: "هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول الدّال والثاني هو المدّلول وكيفية دلالة اللفظ على المعنى".[1] أي أنّه سرعان ما نذكر دالا من الدّوال يمكن لذاكرتنا استحضار مدلولها، فالدال هو التتابع الصوتي أو الصورة السمعية أما المدلول هي تلك الصورة التي تُرسم في ذهن الإنسان.

كما يُورد لها القزويني تعريف آخر بقوله: "علم يُعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدّلالة عليه.[2]

وقد ساهم الجاحظ بشكل كبير وملفت للانتباه فيما يخص البحث الدلالي، وتكلّم عن المعاني في خمسة أصناف*.

كما أخبر بأن هذه المعاني يُختلف في الإبانة عنها من طريقة لأخرى، فنجده يقول: "إنمّا يحي تلك المعاني ذكرهم لها وإخبارهم عنها، واستعمالهم إيّاها، وهذه الخصال هي

---

[1]– الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات. باب الدال، مكتبة لبنان، بيروت، ط1985، ص 109.

[2]– جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة. شر: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت، ط2 .1932م، ص 235.236.

*- الإشارة: فتكون باليد، والرأس، والعين، والحاجب ...

*- الخط: يقال القلم أحد اللسانيين، وقيل اللسان مقصور على القريب والحاضر، والقلم مطلق في الشاهد والغائب، قال تعال: ﴿ن وَالقَلَمِ وَمَا يُسطِّرُونْ﴾ سورة القلم الآية1.

*- العقد: ويقصد به الحساب باليد كما يشتمل على معاني كثيرة، ومنها تحاسب الناس بعضهم مع بعض لمنفعة ترجى بين الطرفين، وكذلك يوم الحساب، فلولاه لما استأنسوا بما هو خير، ولما نفروا من كل ما هو شر.

*- النصبة: وهي الحال الناطقة بغير لفظ والمشيرة بغير يد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وفي كل صامت وناطق.

*- اللفظ: وهو مايتلفظ به الانسان، فهو ملفوظ.

التي تقربها من الفهم وتجليها للعقل وتجعل الخفي، منها ظاهرا، والغائب شاهدا، والبعيد قريبا، وهي تلخص الملتبس وتحل المنعقدَ.[1]

إنّ في استعمالنا للمعاني تباين، وتمايز يكون ذلك حسب الحال التي نحن فيها، فقد يكون باللفظ أو بالإشارة على اختلافها (العين، اليد، الرأس...) " وعلى قدر وضوح الدّلالة وصواب الإشارة وحسن الاختصار، ودقة المدخل يكون إظهار المعنى."[2]

فاستعمالنا لهذه المعاني قاصدين بها الإخبار، والإباحة، والإفشاء عما يسكن أرواحنا ويختلج نفوسنا وأذهاننا لا يتأتى إلا بأمرين اثنين أحدها اللفظ والآخر الإشارة ففي بعض الأحيان تحل الإشارة محل اللفظ لما لها من تأثير بليغ في إيصال المعنى مثلها مثل اللفظ يقول الجاحظ في هذا الصدد: " فالإشارة واللفظ شريكان، ونِعم العون هي له، ونِعمَ التُّرجمان هي عنه وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط ... وفي الإشارة بالطرفِ والحاجبِ وغير ذلك من الجوارح، مرفق كبير، ومعونة حاضرة"[3]

ونجد هذا مجتمعا في قول أبي نواس مخاطبا الفضل بن عامر.[4]

رَأَيْتُ الفَضلَ مكْتئِباً يُنَاغِي الخُبزَ وَالسَّمَكَا
فَقَطَّبَ حِينَ أَبْصَرَنِي ونَكّسَ رأسَهُ، وَبَكَى
فَلَمَّا أنّ حَلَفتُ لَهُ بِأنّي صَائِمٌ ضَحِكَا

---

(1)– الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين. ج1. تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998م، ص 75.

(2)– المصدر نفسه. ج1، ص75.

(3)–المصدر نفسه. ج1، ص 78.

(4)– أبو نواس الحسن بن هاني، الديوان. تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، قصيدة بكاء وضحك، دط، ص 535.

من خلال الأبيات الشعرية السابقة الذّكر تتضح لنا أهمية اللفظ والإشارة في التبليغ وإيصال المعنى فصيغة المبالغة في الفعل قَطَّبَ على وزن فَعَّلَ دَلَّ على رفض الفضل مشاركة طعامه مع أي أحد.

كما كان للّفظ هو الآخر دور في حدوث المعنى في قول الشاعر: فلمّا أخبرته، وكذلك نستحضر بيتين شعرين نستدل بهما على أنّ الإشارة أبعد من مبلغ الصوت ولها دور هام في عامل التبليغ يقول يزيد بن معاوية واصفا حالة الحبيبة الخائفة بقوله:[1]

أَشَارَتْ بِطَرَفِ الّعَينِ خِيفَةَ أَهلِهَا إِشَارَةَ مَذْعُورٍ وَلَم تَتَكّلَمِ

فَأَيّقَنْتُ أَنَّ الطّرْفَ قَالَ مَرحَبَا وَأَهْلاً وَسَهلاً بِالحَبِيبِ المُتَيَمِ

وبهذا نجد أنّ الكثير من الشعراء العرب مارسوا السلوك السيمائي دون الشعور به، وعلاوة على الشواهد السابقة ندعّم بأبيات أخرى نستشف من خلالها حسن العشرة، والوفاء، وحب المالك لمملوكه، وقدرة فهم المالك لهذا المملوك دون تكلمه قال عنترة ابن شداد أبيات في منتهى حسن المعشر ينقل شكوى جواده بالتحمحم لما ألّمَّ به في المعركة:[2]

لَوْ كَانَ يُدرِي مَا المَحَاوَرة اشْتَكَى وَلَكَانَ لَو عَلِمَ الكَلاَمَ مُكَلَمِ

فَازوّر مَن وَقَعَ القَنَا بِلَبَانِهِ وَشَكَا اليَ بِعِبْرَة وتَحَمْحُمِ

نخلص من خلال هذه الأبيات إلى فكرة مفادها أنّ اللغة السمائية كانت بارزة جلية حلت محل اللغة العادية في التعبير عن رفض الفضل وشكوى الجواد بالتحمحم لما ألمَ به في المعركة، وذعر الحبيبة من مترقبيها.

---

[1]– يزيد بن معاوية، الديوان. قصيدة خذ وبدمي ذات الوشاح، دار صادر، بيروت، ط1.

[2]– عنتره بن معاوية بن فراد العبسي، ديوان عنترة. مطبعة الآداب، بيروت، دط 1993ص 83.

نخلص من خلال هذه الأبيات إلى فكرة مفادها أنّ اللغة السمائية كانت بارزة جلية حلت محل اللغة العادية في التعبير عن رفض الفضل وشكوى الجواد بالتحمحم لما ألمَ به في المعركة، وذعر الحبيبة من مترقبيها.

كما يمكننا القول أنّ جهود العرب وغيرها من الشعوب كان لهم دور بارز، وساري المفعول في مجال الدّلالة ولكنها لم تقترن بمنهج ولم تتأطر تحت علم معين.

1- 3- علم الدّلالة عند الغربيين

أخذ علم الدّلالة إبان عصر النهضة منحى آخر نتيجة التطور الحاصل الذي مسَّ مجالات عدة، وخصوصا مجال النسخ والطباعة، وقد جاء هذا المنحى مسايرا لعلم حديث عُرف باسم السمياء أو علم السميولوجيا، والذي لم يحصل على شهادة ميلاد الا بعد مرور حقبة من الزمن.

وقبل الحديث عن السمياء في طابعها العلمي الممنهج نعرِّج في بضعة أسطر عن حدود المصطلح؛ ومعناه في التصورات الأولى المُؤَسِّسَة للسميائية.

يدلنا مصطلح السميائية على جذر اشتق منه ألفاظ عدة. فالجذر و_س_م ومنه: [1]

- السُومَةُ والسِيمَةُ والسيمَاءُ والسِّمياءُ وتعني العلامة.
- الوَسْمُ: أثر الكي والجمع وُسوُم... وفي الحديث أنهّ كان يَسِمُ إبل الصدقة أي يُعَلِّمُ عليها بالكي.
- سَوَّمَ: سوم الفرس جعل عليه السِيمَة، وقوله عز وجل: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾

[1]– ابن منظور، لسان العرب. ج12، ص 312.

- السِيمُ: العلامات على صوف الغنم.
- المَسُومَة: قيل الخيل المَوْسُومَة التي عليها السِيمَا والسُومَة وهي العلامة، والمُسَوَّمَةُ المعلَّمة وسَوَّمَ فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريرة أو شيء يعرف به.

من خلال ما سبق نستنتج أنّ مادة وسم ومختلف اشتقاقاتها تدور حول معنى جامع وهو وضع علامة للدّلالة على الشيء دون إحضاره، وللفظ وسم مواد تقابلها وتوافقها في المعنى ومنها: سَوَّمَ، وَشَمَ، وَعلَّمَ، ولعل هذا كان سببا مقنعا في جعل "السيمائيين العرب يترجمون المصطلح الغربي singe بأكثر من مقابل عربي " السمة " و" العلامة "[1]

لقد لقي مصطلح السمياء أو السميائيات رواجا هائلا، واحتل مكانة متميزة في خضم مختلف البحوث اللسانية المعاصرة على اختلافها، فعلى الرغم من أنّ هذا العلم لم يحمل شهادة ميلاد إلى مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين إلا أنَّنا وكما ذكرنا آنفا لا ننفي وجود أيادي وضعت بصمتها، ورسخت أفكارها السميائية في التراث الإنساني بشقيه الغربي والعربي، إذ حفلت كتب الأقدمين بأفكار عدة حول مفهوم العلامة والإشارة على حد السواء، كل هذا كان من أجل الفهم والتفقه فيما هم معنيين به (النصوص الدينية) ونمثل للغربيين بالهنود وكتابهم المقدس الفيدا، والعرب " بمحاولاتهم الأولى لتفسير القرآن وبيان معاينة الدقيقة والتي مثّلت بدايات البحث في دلالة الكلمات في العربية" [2] فكانت معظم كتبهم تتحدث عن غريب القرآن ومعانيه، وغريب الحديث، وبعد فترة من الزمن بدأت الأوضاع تتطور في مجال الدّلالة خاصة فيما يعرف بالتأليف المعجمي على اختلاف أنواعه، إذ ظهر ما يعرف بمعاجم الألفاظ ومعاجم المعاني.

---

[1]– محمد بن عياد وآخرون، دروب السيماء. المطبعة الرسمية للبلاد التونسية، صفاقص، تونس، ط1، 2008م، ص19.

[2]– خضر أكبر حسن كصير، أصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة وتطور التأليف. مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الإدارة والاقتصاد، المجلد 19، العدد12، ص25.

بعد هذه المقدمة لأصول السمياء يمكننا الآن الولوج في عوالم هذا العلم بدءا من نهاية القرن التاسع عشر وصولا للقرن العشرين مؤذنين بذلك، ومخبرين بعلم ممنهج مقنن يتَّصِف بطابعه العلمي المحض.

ينحدر مصطلح سميولوجيا من الأصل اليوناني semion الذي يعني علامة و logos الذي يعني خطاب،[1] وبذلك تصبح كلمة semiologie علم العلامات أو علم الدّلالة وهو علم يتسم بالشمولية بحيث يدرس أنواع العلامات اللسانية والغير لسانية، كما أنّ "موضوعها غير محدد في مجال بعنيه، فهي تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني: إنهّا أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولجية الكبرى" .[2]

لقد اقترن مصطلح السميولوجيا بظهور تيارين متباينين متزامنين أولهما بزعامة السويسرى فردينان دوسوسير ferdinand de sausur [1857- 1913] الذي مهد وتنبأ بظهور علم جديد سيكون له من المكانة، والرفعة كباقي العلوم الأخرى يقول: "يمكننا أنّ نتصور علما موضوعه دراسة حياة الإشارات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم الإشارات semiology" [3].

وعلى هذا عرف سوسير بمصطلح السيميولوجيا، في مقابله التيار الثاني بزعامة الأمريكي شارل سندرس بيرس Charles Sanders Peirce [1838م- 1914م]، والذي

---

[1]– برنارتوسان، ماهية السيميولوجيا. تر: محمد نظيف، مطابع إفريقيا الشرق، ط3، 2016م، ص11.

[2]– وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، النبوية وما بعدها يبين التأصل الغربي والتحصيل العربي. مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، غزة، 2010، ص 95.

[3]– فرينان دوسوسير، علم اللغة العامة. تر: يوئيل يوسف عزيز، دار الآفاق عربية، ط3، ص34.

أطلق على هذا العلم مسمى السميوطيقا smiotique، كما تمتع كل من الطرفين بتفريع تميز به أحدهم عن الآخر فعرف سوسير بالتفريغ الثنائي* وعرف بيرس بالتفريع الثلاثي*.

من خلال عرضنا لمفهوم الدّلالة عند العرب وبعض العلماء الغربيين أمثال سوسير وشارل سندرس بيرس انفتح لنا " أنّ معالجة قضايا الدّلالة بمفهوم العلم، ومناهج بحثه الخاصة وعلى أيدي لغويين متخصصين إنما تعد ثمرة من ثمرات الدراسات اللغوية الحديثة، وواحدة من أهم نتائجها"[1] كما أنّ ما طُرح سابقا ونوقش من قضايا حول العلامة والثنائيات وغيرها لم تنفصل عن فروع علم اللغة.

يعد العالم الفرنسي ميشال بريال M.Breal، أول من جعل لمصطلح "سيمانتيك " حضورا سواء من ناحية المسمىَّ أو المضمون، كما جعل له " دلالة فعالة في اللغة مخصصا إياها للقوانين التي تحكم تغيرات المعنى" [2] وذلك بعد ما كان مصطلح السيمانتيك في القرن السابع عشر يعني الرجم بالغيب*.

*- التفريع الثنائي: ويمثل الفكرة التي بنى عليها سوسير لسانياته، وتمثلت في ثنائياته المشهورة: الدّال والمدّلول، اللّغة والكلام، الآنية والتزامنية وغيرها من الثنائيات التي تكلم عنها بالتفصيل في كتابه ينظر: فرديناند دوسوسير، علم اللغة العام.

*- التفريغ الثلاثي: ينطلق بيرس في تحديده للعلامة الثلاثية triadiqiue.

1 – الممثل représentanen: وهو شيء يمثل شيء ما، بمعنى كل شيء له مقابل في الواقع.

2– الموضوع objet: التتابع الصوتي للكلمة ويعرف كذلك بالصورة السمعية لها.

3– المؤول intepretant: وهو ما يحمله ذلك الشيء من دلالات تكون بدورها حمالة معان يختلف في فهمها من مجتمع لآخر، ينظر: هواري بن غندور. مدخل إلى السميائيات التداولية إسهامات بيرس وشارل موريس، كلية الآداب، جامعة مستغانم، الجزائر.

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة. ص 22.

[2]– حازم كمال الدين، علم الدّلالة المقارن. مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007، ص19.

*- التنبؤ بما هو آت.

وضع بربال رسالة سماها " مقالة في الدّلالة essai de semantique 1897 اهتم فيها بدلالة الألفاظ في اللّغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيلة الهندأوروبية نحو اليونانية واللاتينية[1]، يقول في مقدمة دراسته " إنّ الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتبهوا قط إلى القوانين التي تنظم تغيير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها، وبما أنّ هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها فإننا نطلق عليها اسم " سيمانتيك " للدلالة على علم المعاني"[2].

من خلال مقولة بربال التي بين أيدينا نستشف أنّ بريال لم يهتم بالمعنى فقط بل تعدى ذلك إلى دراسة العوامل التي تتدخل في تغير المعنى، وضرورة إيراد كلمات جديدة تحل محل من سبقتها في ظل ما تتطلبه احتياجات العصر، كما أنه أطلق على هذا المجهود اسم سيمانتيك.

إنّ جهود الفرنسي ميشال بريال أحدثت ثورة في علم اللغة الحديث تاركة بذلك أول بصمة كانت تاريخ ميلاد وهوية علم الدلالة، كما أنّ هذه الجهود آتت أكلها، فبعد العمل الذي قدمه مالبث إلا أنّ ظهر كتاب the meaning of the meaning معنى المعنى 1923 للانجليزي أوغدن ورتشارد richard ogden، وذلك تأثرا ببريال وقد تكلموا فيه عن المعنى وكل ما يتعلق به وجاء ذلك في عشرة فصول.

وفي أوائل القرن التاسع عشر ظهر عمل ضخم للعالم السويدي أدولف نورين odolf noreen بعنوان " لغتنا " حيث جعل قسما كبيرا منه لدراسة المعنى.[3]

---

[1]– ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدّلالة. ص 22.

[2]– منقور عبد الجليل، علم الدّلالة، أصوله ومباحثه في التراث الغربي. ص 20.

[3]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة. ص 23.

2- المعجم

2- 1- المعجم لغة: اهتم أصحاب المعاجم العربية القديمة بمادة عَجَمَ من الجنر / ع.ج.م / نذكر ما جاء به ابن منظور بقوله: عَجَمَ، والعَجَمُ، وخِلافه عَرَبِيٌّ ... والعَجَمُ جمع الذي لا يُفْصِحُ ... والأَعْجَمُ الذي لا يُفصحُ ولا يُبينُ كَلامهُ، ومؤنثه عَجْماءٌ ورجل عجميٌّ من جنس العَجَمِ، وأعْجميٌّ وأعْجَمٌ في لسانه عُجمةٌ " [1] ونستدل بقوله الحطيئة:[2]

فَالشِعرُ صَعبٌ وَطَويلٌ سُلَّمُه

إِذا اِرتَقى فيهِ الَّذي لا يَعلَمُه

زَلَّت بِهِ إِلى الحَضيضِ قَدَمُه

وَالشِعرُ لا يَسطَيعُهُ مَن يَظلِمُه

يُريدُ انّ يُعرِبَهُ فَيُعجِمُه

وَلَم يَزَل مِن حيثُ يَأتي يَحرُسُه

مَن يَسِمِ الأَعداءَ يَبقَ ميسَمُه

وقد تنحو كلمة عجم منحى مغايرا، إذ أنّ المعجم من الفعل الرباعي أعجم وفعله عجم، ويعتريها الغموض والإبهام، أما الفعل أعجم يدل على إزالة الغموض، والوضوح، وقد أعطت الهمزة هذه الصفة فنقول أعجمت الحروف إذا أبنتها بنقطها وفي اللسان: "فإنك إذا

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب. ص 50.51.

[2]– جرول ابن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن غالب بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غظفان بن سعد بن قيس بن علان بن مضر بن نزار الملقب بالحطيئة، ديوان الحطيئة. شر: ابن المكتب، تبويب: مفيد محمد قميحة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص185.

عمدت إلى الجيم "وأعْجَمَتُهُ بواحدة في أسفله، والخاء بواحدة في أعلاه، وتركت الحاء، علمت بأنها تختلف عن الحرفين الآخرين وكذلك الأمر بالنسبة (الباء،والتاء،والثاء، والدال، والذال، فبإعجامك لها زال الإبهام والإشكال[1] نحو أشكوت فلانا بمعنى أزلت عنه الشكوى.

وعلى هذا يصير معنى أعجم " أزال العجمة أو الغموض أو الإبهام ومن هنا أطلق على نقط الحروف لفظ (الإعجام) لأنه يزيل ما يكشفها من غموض" [2] نقول أعجمت الحروف إذا أبنتها بالنقط، وأشكوت فلانا أزلت عنه الشكاية .

وجاء في القاموس المحيط: "العُجْم، بالضَّمِ والتحريك: خلافة العرب رجُلٌ وقومٌ أعجمٌ والأعجم من لا يفصح ... وأعجم فلان الكلام: ذهب به إلى العجمة [3]، والكتاب نقطه وحروف المُعجَمِ أي الإعجام مصدر كالمدخل أي من شأنه أنّ يعجم.

مما سبق نلاحظ أنّ مادة أعجم وفعلها عجم تحمل معنيين إثنين بالسلب، والإيجاب فمن جهة تعني الإيضاح وإزالة اللبس والغموض، ومن جهة أخرى تعني الإبهام والغموض والكل مأخوذ به .

كما نالت لفظة عجم هي الأخرى حظها من القرآن الكريم في عدة مواضع قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل الآية 103].

وقال أيضا: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سورة فصلت الآية 44].

---

[1]– ابن منظور، لسان العرب. ص 52.51.

[2]– أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث. عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2009م، ص 19.

[3]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط. ص 145.

2- 2- المعجم في الاصطلاح

باصطلاح كل من المعجمين والقائمين على مجال الصناعة المعجمية يعد المعجم ذلك الكتاب الذي يجمع كلمات لغة ما، ويشرحها، ويوضح معناها، ويرتبها بشكل معين وتكون تسمية هذا النوع من الكتب معجما إما لأنه: [1]

1- مرتب على حروف المعجم (الحروف الهجائية).

2- أو أنه قد أزيل به أي إبهام أو غموض عنه، فهو معجم مزال ما فيه من غموض وإبهام.

ويعرف المعجم كذلك بأنه: " كتاب يضم بين دفتية مفردات لغة ما ومعانيها واستعمالاتها في التراكيب المختلفة، وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبا ما تكون الترتيب الهجائي" [2]

فالمعجم مُؤَلّفٌ يلجأ إليه الباحث إذا أشكل عليه فهم أمر من الأمور علاوة على ذلك هو كتاب مرتب، ومنظم بحيث تكون طريقة البحث فيه سهلة، وذلك لتعدد الاتجاهات فيما يخص الصناعة المعجمية.

وقد استخدمت لفظة معجم في وقت متأخر للدلالة على المفهوم الذي ذكرناه سابقا ؛ فقد كان قصب السبق لعلماء الحديث أولا، ثم علماء اللغة فأول كتاب حمل عنوان معجم هو

---

[1]– أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث. ص 20.19.

[2]– أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب. مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1968م، ص 162.

– المعجم: أشمل وأضخم من القاموس، المعجم موجه للباحثين والقاموس للمتعلمين.

– القاموس: مال إلى الترتيب الألف بائي من أجل التيسير لكن هناك من المعاجم مرتبة كترتيب القواميس.

– الموسوعة: كتاب ضخم يأتي في عدة مجلدات، ويقتصر المعجم على المفردات أما الموسوعة فقد تتضمن الأعلام والأماكن.

معجم الصحابة لأبي أحمد بن علي التميمي الموصلي (210ه – 307ه) ويجمع المعجم على صبغتين معاجم ومعجمان.[1]

2- 3- علم المعاجم

علم المعاجم هو أحد فرعي المعجمية ويصطلح عليه أيضا بعلم المفردات، ويقابل علم المفردات أو علم المعاجم لفظ laxcology في اللغة الانجليزية، و lexicologyie في اللغة الفرنسية، وإذا ما أردنا أنّ نعطي تعريفا شافيا لهذا المصطلح نستعين بما أورده علي القاسمي في كتابه صناعة المعجم يقول: " هناك فرق بين علم المفردات أو علم الألفاظ lexicology والصناعة المعجمية lexicography؛ فالمصطلح الأول يشير إلى دراسة المفردات ومعانيها في لغة واحدة أو في عدد من اللغات، ويهتم علم المفردات من حيث الأساس باشتقاق الألفاظ وأبنيتها، ودلالتها المعنوية والإعرابية والتعابير الاصطلاحية، والمترادفات وتعدد المعاني ... أما الصناعة المعجمية فتشمل على خطوات رئيسية خمس هي: جمع المعلومات والحقائق اختيار المداخيل، وترتيبها طبقا لنظام معين وكتابة المواد، ثم نشر النتاج النهائي" [2]. فما نلاحظ على تعريف علي القاسمي أمرين أساسيين:

1 -جعل من علم المفردات رديفا لعلم المعاجم أو علم الألفاظ.

2 -تتقسم المعجمية في تكوينها إلى شقين اثنين علم المعاجم lexicology وصناعة المعجم lexicoraphy ونوضح ذلك في المخطط الآتي:

---

[1]- ينظر: علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان ط1، 2003م، ص8.

[2]– علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط3، 2004، ص3.

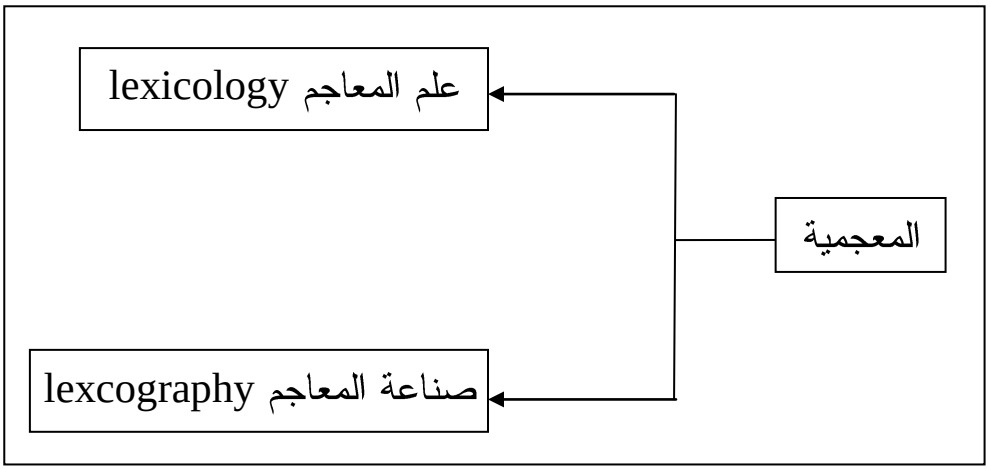

الشكل (01): مخطط يوضح تقسيمات المعجمية

يعرّف أيضا حلمي خليل شفي المعجمية بقوله " أما علم المعاجم lexicology فرع من فروع علم اللغة أيضا يقوم بدراسة وتحليل المفردات أو الوحدات المعجمية في أي لغة بالإضافة إلى دراسة معناها أو دلالتها المعجمية بوجه خاص وذلك تمهيدا لعمل المعجم، أي أنّ علم المعاجم علم نظري، أما الشق التطبيقي له فهو فن صناعة المعجم lexicography وهو الذي يهتم بصناعة المعجم والأسس التي يقوم عليها وأنواع المعاجم وطباعة المعجم وغير ذلك من الأعمال التي تتصل بهذه الصناعة حتى يخرج المعجم غلى الوجود .[1]

نخلص من خلال هذا القول إلى أنّ العمل المعجمي متكون من شقين نظري تمهيدي، وشق تطبيقي يشتغل على ما هو نظري تهيئا للانتاج الأخير المتمثل في إصدار المعاجم بأنواعها المختلفة (المعاجم المدرسية، الالكترونية، التاريخية) وغيرها تسهيلا لعمل الباحث.

[1]– حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي. دار المعرفة، الجامعية الاسكندرية، مصر، دط، 2003، ص72.

كما يطلق المعجمي محمد رشاد الحمزاوي على صناعة المعاجم اسم المَعْجَمِية بفتح الميم، ويعرّفها بأنها مقاربة تسعى من خلال رؤى نظرية وتطبيقية إلى أنّ تتصور بنية أو بنى المعجم والتطبيق لها.[1]

ويعرفها في موضوع آخر بقوله: " المعجمية نعني بها صناعة المعجم من حيث مادته وجمع محتواه ووضع مداخله وترتيبها وضبط نصوصه ومحتوياته وتوضيح وظيفته العلمية والتطبيقية أداة ووسيلة يستعان بها في الميادين التربوية والتقليدية والثقافية والحضارية والاقتصادية والاجتماعية ".[2]

ما نخلص إليه من خلال هذين التعريفين أنّ ما يختلف به محمد رشاد الحمزاوي عن غيره من المعجميين هو التسمية لا غير، لكنهم يتفقون في المضمون بطريقة أو بأخرى.

بعد عرضنا لمفهوم كل من علم المعاجم، وصناعة المعاجم يجدر بنا أنّ نشير إلى الفرق الواضح بين هذين العلمين لأن هناك من الدارسين من لا يميز بينهما، إذ أنّ علم المعاجم يهتم بالأصول والجذور ومختلف اشتقاقاتها، في حين تهتم صناعة المعاجم بترتيب المداخيل وكيفية شرحها مُؤذنةً بذلك لإخراج المعجم في شكله النهائي وشتان بين هذا وذاك وللتدعيم سنشهد بقول ري " إنّ وجود لسانيات تطبيقية في حجم صناعة المعاجم رهن بوجود نظرية معجمية " [3] فعلى الرغم من التمييز بين هذين العلمين فهذا لا يفي العلاقة الوطيدة التي تجمعهما فلا وجود لإنتاج معجمي بدون اللّبنة الأولى والمتمثلة في العمل النظري للمعجم.

---

[1]– ينظر: محمد رشاد الحمزاوي، مقدمة نظرية ومطبقة. مصطلحاتها ومفاهيمها، مركز النشر الجامعي تونس، 2004، ص71.

[2]– المرجع نفسه، ص 275.

[3]– الجيلالي بوعافية.علم صناعة المعاجم مفهومه وقضاياه خير المعالجة الآلية للغة العربية، تلمسان، ص55. نقلا عن: albin raye. le lescique images et modéles, du dic onnaire a la lescicographie, ed: armpndcolin, 1977, p93.

2- 4- بين علم الدّلالة وعلم المعاجم

يبْرُزُ شأن المعجمين والمختصين في مجال الصناعة المعجمية في البحث عن دلالة الكلمات على اختلاف استعمالها* ، وفي هذا العنصر سنتطرق بالذات إلى موضوع الدّلالة المعجمية أو المعنى المعجمي.

تتعدد الدّلالة وتختلف بتعدد مستويات اللغة وتنوع خصائص نظامها، فعلى غرار تقسيم علماء اللغة لها حسب مستويات اللغة نجدها تنقسم إلى أربعة أقسام:

1 -الدّلالة الصوتية

2 -الدّلالة الصرفية

3 -الدّلالة النحوية

4 -الدّلالة المعجمية

وفي خضم حديثنا عن مختلف الدلالات نستحضر قول تمام حسان في هذا الشأن يقول: " إنّ كل دراسة لغوية لابد أنّ تتجه إلى المعنى، فالمعنى هو الهدف المركزي الذي تصوب إليه سهام الدراسة من كل جانب على النحو المبين في الشكل الآتي:

*- هنا يجدر بنا وقف وقفة افتخار واعتزاز لما تملكه الأمة العربية من ثراء معجمي كما وكيفا، على الرغم مما يعتريها من النقائص، وهناك في بعض الجوانب يقول أحمد مختار عمر: " لا تعرف أمة من الأمم في تاريخها القديم أو الحديث قد تضمنت في أشكال معاجمها، وفي طرق تبويبها وترتيبها كما فعل العرب، وقد تعددت طرق وضع المعجم العربي حتى كادت تستنفذ كل الاحتمالات الممكنة... و ما أضنهم كانوا سيكتفون بهذه الطريقة الواحدة لو أمكن – عقلا – الاهتداء إلى طريقة أخرى " يشير أحمد مختار إلى ما تمتلكه العرب من ثراء معجمي كما أنها حارت قصب السبق في النظر إلى الكلمة بجميع أبعادها لفظا ومعنى، وهذا دليل قاطع على ثراء ومرونة لغتنا العربية، وعلى تفنن العربي في التعامل مع لغته كما يشيد أنه لو كان للعرب طرائق أخرى للترتيب لكانوا هم الأولى بها من غيرهم. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ص 175.

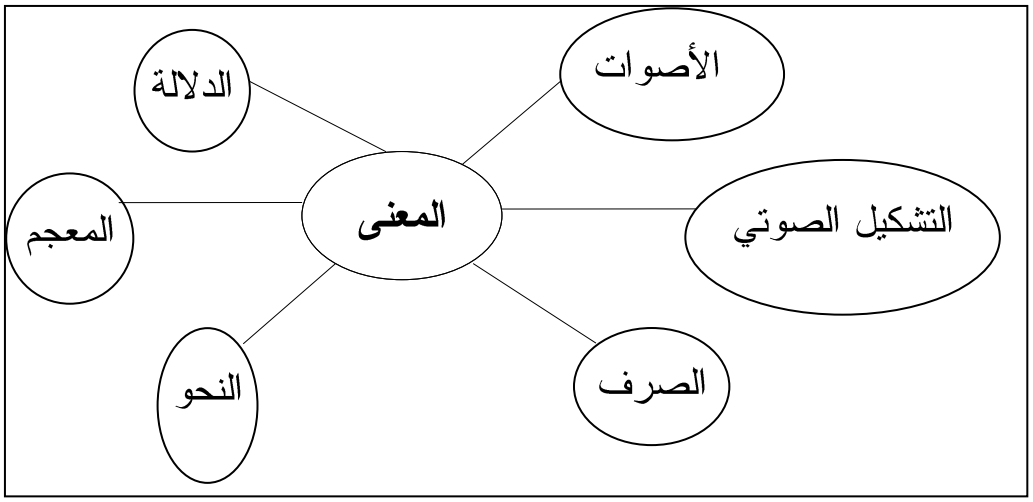

الشكل (02): مخطط يوضح مكونات المعنى

وهكذا يصبح مبضعا، ويشغل كل فرع من فروع الدراسات اللغوية ببضعة من هذا المعنى توضحه، وتبين عنه، وتعين على كشفه، بقطع النظر عما كانت هذه البضعة مما يتصور فهمه مستقلا عن الهيكل العام للمعنى المركب أم لا "

يشير تمام حسان في هذا القول إلى مستويات اللغة على اختلافها، وأنّ كل مستوى معين ينفرد بوظيفة مهمة في الموضوع الذي وضعت له، كما أنّ لكل مستوى خاصية تميزه عن غيره من المستويات تتكاتف فيما بينها لتأدية المعنى المنشود، لكن يبقى ما يفيد دراستنا الدّلالة المعجمية أو المعنى المعجمي.

قبل أنّ يشرع أي عضو في مجال المعجمية في وضع معجم ما على اختلاف نوعه، يجب أنّ يكون ذا كفاءة عالية من حيث التكوين القاعدي أو حتى فيما يخص الجانب المادي لأن العمل المعجمي ليس بالأمر الهين ولا السهل.*

*- يواجه العمل المعجمي مشاكل عدة نذكر البعض منها: غياب كوادر مختصين في مجال المعجمية، ضعف الميزانية، التعصب القومي، مشكل المعجم التاريخي والالكتروني على حد السواء، غياب التكوين القاعدي، هذا بشكل عام أما من أبرز المشاكل التي تعتري إعداد معجم في حد ذاته هو إشكالية الدّلالة في المعجم ويقصد بها كيفية بترتب المداخيل؛ إذ يجد الباحث نفسه أمام مشكل كبير هل يبدأ بما هو مركزي ثم يذهب للهامش أو العكس وهذه القضية معقدة بعض الشيء تحتاج إلى دراسات أخرى لتغطيتها ككل.

وترتبط الدّلالة المعجمية بثلاثة فروع عريقة منبثقة من علم اللّغة: علم الدّلالة وعلم المعاجم وعلم المفردات، وقد ذكرها حلمي خليل بالتفصيل في كتابه مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي* أما إذا بحثنا في مفهومها فنقصد بالدّلالة المعجمية: " تلك الدّلالة التي تكتسبها الكلمات للمفردة أثناء الوضع اللغوي، ويسميها بعض الدارسين المعاني المفردة للكلمات".[1] ونعني بالوضع الاستعمال اللغوي، فمثلا لفظة عين لها عدة دلالات: العين الحاسة، وعين الماء، وعين الجاسوس، وعين القربة، فسرعان ما نربطها بسياق محدد يتضح معناها دون ليس فإذا أنت قلت: عيني تؤلمني فهمت منك أنّ عندك مرضا في جهاز العين، وإذا ما قلت لي شربت من عين حتى ارتويت علمت منك أنك تقصد منبعا، وإذا قلت لي أرسلت عيونا لتخبرني بما يهمني فهمت مرادك وأنك كنت تقصد انّ لك جواسيسا وهكذا " فالدّلالة المعجمية وإن مثلت الناحية السكونية من اللّغة، إلا انّ الكثير من الألفاظ ما تحدد دلالته من سياق الكلام، كما أنها تعد سندا لغيرها من الدّلالة وذلك بتوجيهها للمعنى النحوي، ثم المعنى الدلالي للتركيب" [2]؛ إذن هي تحمل دلالة في ذاتها مفردة تتغير حسب السياق التي ترد فيه " فدراسة المعنى المعجمي يعد الخطوة الأولى

*- علم الدّلالة semantics: يعرفه علماء اللّغة بأنه العلم الذي يدرس المعنى، سواء على مستوى الكلمة المفردة أم التركيب وتنتهي هذه الدّراسة غالبا بوضع نظريات في دراسة المعنى تختلف – عادة – من مدرسة لغوية إلى أخرى.

*- علم المفردات vocabulary: فهو علم يعترف ضمنا بالوجود المستقل المتميز للكلمة، ولقد استقر هذا العلم على عدد من الموضوعات تتصل كلها بالمفردات وحركتها وأنواعها: المفردات المستعملة لدى شاعر أو كتاب ما، الثروة أللفضية في لغة معينة، المصطلحات العلمية أو الفنية، إحصاء ومقارنة الكلمات في عدة لغات.

*- علم المعاجم lescicolog: فرع من فروع علم اللغة يقوم بتحليل المفردات والوحدات المعجمية في أي لغة بالإضافة إلي دراسة معناها أو دلالتها المعجمية بوجه خاص وذلك تمهيدا لعمل المعجم، ينظر حلمي خليل. مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي، ص69، 70، 71، 72.

[1]– أحمد مختار عمر، علم الدّلالة. ص 14.

[2]– هادي نهر، علم الدّلالة. التطبيقي في التراث العربي، تق: علي حمزة دار الأمل، الأردن، ط1، 2007، ص 218.

للحديث عن الكلمة، كون الدلالات الصوتية والصرفية والنحوية هي دلالات وظيفية، كل منها يؤدي وظيفة خاصة يساهم لها في بناء المعنى العام للكلمة ووضوح دلالتها ". [1]

من خلال ما سبق وبعد عرضنا لمفهوم الدّلالة المعجمية نستنتج بأنّها تعد اللبنة الأولى التي يوضع بها حجر الأساس لتكوين المعنى، وتعينها في الوصول إليه دلالات أخرى النحوية والصرفية منها.

3- المركز والهامش في الدّلالة

3- 1- مفهوم المركز لغة

يعد مصطلح المركز والهامش من أكثر المصطلحات غموضا، وإثارة للجدل، إذ أنّه يدخل في عدة مجالات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية منها، كما نجد للمصطلحي حضورا قويا في المجال الأدبي ما أضفى عليه جمالية أكبر تمثلت في الصراع القائم بين المفهومين، ومحاولة أحدهما حلول مكان الآخر.

عرضت المعاجم العربية كلمة ركز من الجذر (ر_ك_ز) إذ يوردها الفيروز أبادي في قاموسه بقوله: " الرُّمحَ يرْكِزُ ويَرْكُزُهُ... والمركز وسط الدائرة وموضع الرجل ومحله حيث أمر الجند أنّ يلزموه... وارتكز ثبت وعلى القوس وضع سيتها على الأرض ثم اعتمد عليها والركْزَةُ النخلة تقتلع من الجذر ومركوز" [2]

---

[1]– محمد توادي، ألفاظ العقائد والعبادات والمعاملات في صحيح البخاري. دراسة دلالية أطروحة دكتوراه، جامعة عباس فرحات، سطيف. كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، دس، ص 65.

[2]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط. ج2، فصل الراء، باب الزاي، مادة ركز، ص 175.

وذكر ابن فارس في المقاييس: " رَكَزْتُ الرُمْحَ ركزًا: ومركز الجند: الموضع الذي أُلزمُوهُ، والمُرْتَكَزَ يابس الحشيش الذي تكسّر ورقة وتطَايَرَ ومعناه أنه ذهب منه ما ذهب وارتكز هذا أي ثبت.[1]

من خلال الرؤية المعجمية لمادة ركز يتضح لنا أنّ المركز هو الثابت المستقر، وهو النقطة التي منها يَنتشر محيط الدائرة.

وورد في القاموس المحيط: "الهَمَشُ: الجَمْعُ وهَمَشَ كضَرَبَ وعَلِمَ أكثر الكلام وامرأة هَمْشَى كثيرة الجلبة والهامش حاشية الكتاب... وتهامشوا دخل بعضهم في بعض وتحرّكوا.[2]

وجاء في المقايس لابن فارس: " هَمَشَ: الهاء والميم والشين: أصل يدلّ على سرعة وعمل أو كلام يقولون: الهَمِشُ: السريع العمل بأصابعه، امرأة هَمْشَى الحديثِ إذا سرّعت فيه قول الشاعر:

أيّامَ زَيْنَبُ لاَ خفيفٌ حِلْمُها هَمْشَى الّحَدِيثِ وَلاَ رَوَادُ سَلْفَعُ [3]

فالهامش مقرون بالكلام الكثير الغير مجدي، ومثال ذلك المرأة الثرثارة وسريع العمل بأناملـه.

إذن من التعريف اللغوي نلاحظ أنّ المركز يشتمل على الثبوت ليحافظ على مركزيته في مقابل الهامش الذي يتسم بالحركة، وعدم الثبوت باحثا عن مكان ومركز له.

---

[1]– أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون، ج2، مادة ركز دار الفكر، 1979م، ص434.

[2]– الفيروز أبادي، القاموس المحيط. ج2، فصل الهاء، باب التبيين، مادة همش، ص 292.

[3]– ابن فارس، مقاييس اللغة. مصدر سابق، ج6، مادة همش، ص 66.

*- ابراهيم انيس (1906م– 1977م). رائد الدراسات اللّغوية العربية، ولد بالقاهرة، حصل على شهادة البكالوريا من جامعة لندن 1939م، ثم الدكتوراه سنة 1941م، نال عضوية مجمع اللغة العربية سنة 1961م، من أهم أعماله: الأصوات اللغوية، دلالة الألفاظ، المنصور الأندلسي، في اللهجات العربية.

3- 2- الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية عند إبراهيم أنيس*

يعد إبراهيم أنيس أول من عرف باستخدامه لمصطلحي الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية، حيث أنّه أفرد فصلا كاملا تحت مسمى المركز والهامش في الدّلالة.

وقد عرّف الدلالتين أثناء حديثه عن الحياة الاجتماعية في القاهرة وكيفية تعايش أبناء البيئة الواحدة بعضهم مع بعض، متخذين في ذلك على اختلاف مصالحهم وسيلة واحدة هي اللغة التي تجمعهم جميعا أما عن الدّلالة المركزية فعرّفها بقوله: " بقدر مشترك من الدّلالة يصل بهم إلى نوع من الفهم التقريبي الذي يكتفي به الناس في حياتهم العامة، وهذا القدر المشترك من الدّلالة هو الذي يسجله اللغوي في معجمه ويسمى بالدّلالة المركزية"[1].

من خلال هذه المقولة يتضح لنا انّ الدّلالة المركزية ما اشترك في فهمها جمهور من الناس على اختلاف انتماءاتهم .

كما شبه الدّلالة المركزية بتلك الدوائر الناتجة عن رمي حجر في الماء، فما ظهر منها أولا كان فهم بعض الناس في نقطة المركز، ثم ما توالي من دوائر يكون فهم القلة من الناس وقد جرى في أذهانهم ظلال من المعاني لا يشتركون فيها مع غيرهم .[2]

ويعرف الدّلالة الهامشية بقوله: " تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم وأجدادهم.[3]

نلاحظ أنّ إبراهيم أنيس ربط الدلالة الهامشية بما هو شعوري نفسي، وبما قد ينفرد به الشخص عن غيره جراء التجربة والمزاج.

---

[1]– إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو مصرية، ط5، 1984م، ص 106.

[2]–المرجع نفسه، ص106.

[3]– المرجع نفسه، ص 107.

3- 3- الفرق بين الدّلالة الهامشية والدّلالة المركزية

من أهم الفروق بين الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية ما يلي:[1]

1 -الدّلالة المركزية يشترك في معرفتها عامة الناس، أما الدّلالة الهامشية ينفرد في فهمها بعض الأفراد.

2 -تدرك الدّلالة المركزية إدراكا عقليا محضا في جبن تكون الهامشية استجابة نفسية.

3 -ترتكز الدّلالة المركزية بأهم وظائف اللغة ألا وهي الإبلاغ بينما تتصل الثانية بوظيفة التأثير.

3- 4- كيفية اكتساب الكلمة دلالة هامشية

تمر الكلمة عند اكتسابها للدلالة الهامشية بمرحلتين: [2]

1- مرحلة الشحن: وهي المرحلة التي تزود فيها الكلمة بطاقة عاطفية إما نتيجة التداول وشدة التصاق اللفظ بمدلوله أو لتوهم والشعور بالتشاؤم نحو: لفظة الغراب التي اكتشف دلالتها الهامشية على السن والفراق قال قيس بن ذَريحْ.[3]

أَلا يَا غُرابَ البَينِ قَد هُجْتَ لَوعَةً فَوَيحَكَ خَبِّرني بِما أَنتَ تَصرَخُ

أَبِالبَينِ مِن لَيلى فَإِن كُنتَ صادِقاً فَلا زالَ عَظمٌ مِن جَناحِكَ يُفسَخُ

وَلا زِلتَ عَن عَذبِ المِياهِ مُنَفَّراً وَوَكرُكَ مَهدوماً وَبَيضُكَ مُشْدَخُ

---

[1]– ينظر: محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى. أنظمة الدّلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، ط2، 2007، ص175.

[2]– المرجع نفسه، ص 201.

[3]– أبو البركات بن الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تح: جودة مبروك محمد مبروك مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص 215.

2- مرحلة الاقتران: وهي مترتبة عن المرحلة الأولى، إذ كلما زاد شحن الكلمة بإيحاءات هامشية زاد عامل الاقتران وتصبح بذلك ذكر الكلمة مقرونا بدلالتها الهامشية.[1]

فلفظة بحر مثلا: تمثل دلالتها المركزية المياه الكثيرة، لكن سرعان شحنها بشحنات عاطفية تجري مجرى آخر وتدخل ضمن الدّلالة الهامشية، فكلمة البحر تعني عند بعضهم رحابة الصدر والاتساع، وعند بعضهم بحر من الدموع أو الدماء فتمثل دلالة مخالفة ألا وهي الحزن والإستياء .

فعلى قدر الشحن* والاقتران* تترتب دلالات هامشية ؛ لكن يبقى هناك ما يربط الهامش بالمركز دائما وذلك عن طريق المجاز والمشابهة وغيرها من السبل.

3- 5- نوعا الدّلالة الهامشية

حينما ارتبطت الدّلالة الهامشية بواقع الناس وتجاربهم المختلفة، أضحت تلك الخبرات متباينة بين فرد وآخر من ناحية، ومشتركة بين عدد منهم من ناحية أخرى، وعلى غرار هذا يمكننا تقسيم الدّلالة الهامشية إلى نوعين:

1- الدّلالة الهامشية الاجتماعية

وهي التي يشترك في فهمها عدد كبير من أفراد المجتمع، وذلك بما اكتسبته الكلمة أو العبارة من مشاعر، وعواطف، وانفعالات ودلالات حضارية وفكرية... طيلة عمرها

---

[1]– محمد محمد يونس علي، المعنى وطلال المعنى. ص 202.

*- شحن: الشين والحاء والنون أصلان متباينان أحدهما يدل على الملئ والآخر على البعد؛ فالأول قولهم شحنت السفينة إذا ملئتها. ينظر ابن فارس. مقاييس اللغة، ج3، باب الشين والحاء، مادة شحن، ص 251.252.

*- قرن: القاف والراء والنون أصلان صحيحان، أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر شيء ينشأ بقوة وشدة... والقران: الحبل يقرن به شيئان. والقَرَنُ الحبل أيضا. ينظر: ابن فارس. مقاييس اللغة، ج5، باب القاف والراء، مادة قرن، ص76.

الاجتماعي ويحسب هذا العمر من الفترة التي عرف فيها أفراد المجتمع اللغوي تلك الكلمة أو العبارة إلى حين استخدامها في سياق معين".[1]

فكلمة بارك الله فيك تتسم في استعمالها القديم على أنّها صيغة مدح لمن قام بفعل يستحق أنّ تقال فيه هذه الكلمة، أما مع مرور الزمن وتغيِّر وجهة نظر المجتمع لهذه العبارة أصبحت تستعمل بصفة هامشية مضادة لدلالتها الأولى للتعبير عن فعل غير محمود ومرفوض، ولعلّ ذلك " راجع إلى تغير مقاييس الأخلاق ومعايير التفاضل نتيجة التطور الاجتماعي." [2] فما يسمى نية سابقا قد يعرف تصرفا غبيا طائشا وقس على ذلك من الأمثال.

2- الدّلالة الهامشية الفردية

وتمثل تلك الدّلالات والإحاءات المرتبطة بالكلمة بسبب ونتيجة عوامل شخصية تحدث مع الإنسان ونفسه " فحياة كل إنسان وسلوكه ممزوجان بشبكة من العواطف المتجهة إلى نفسه وإلى الأشخاص والأشياء والأماكن المألوفة وإلى الأشياء والأفكار التي سمع عنها أو قرأ ".[3]

ولعل أفضل ما يعبّر عن هذا النوع من الدّلالة الكلمات والعبارات المستخدمة في المجال الأدبي إذ غالبا ما تفيض بالشعراء قرائحهم ؛ فيهيمون بالتحدث عن الشيء بأوصاف مختلفة كل حسب ذوقه ومتعته" وليس غريبا على الشعراء أنّ يستجيبوا لما تسنح به خواطرهم... فيأتوا بالتعبيرات الطريفة والجديدة التي تقود إليها مشاعرهم الخاصة نحو

---

[1]– محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى. ص 212.

[2]– المرجع نفسه، ص 213.

[3]– م.م لوبيس، اللغة في المجتمع. تر: تمام حسان، إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، 1959م، ص 113.

محتويات العالم الخارجي والعلاقات التي تحكمه" [1] وربما نجد بعض هذا مجسّدا في قول علي بن الجهم[2] مادحا الخليفة المتوكّل

أَنتَ كَالكَلبِ في حِفاظِكَ لِلوُد وَكَالتَيسِ في قِراعِ الخُطوبِ

فبيئته التي كبر فيها، ونمت سجيته عليها، أثرت في حسه المرهف، كونه شاعرا لا يسمح للكبت، والكتمان حين التعبير عن مشاعره أن يكونا حائلا بينه وبين عوالم خوالجه.

وسرعان ما انتقل من بيئته إلى بيئة أخرى جعل لعامل التأثير يخرق عوالم حسه، ويُحوّل من قريحته فغدا منشدا ومادحا الخليفة بقوله: [3]

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

3- 6- أهمية الدّلالة الهامشية ومدى تأثيرها في المجال الأدبي

يعد ارتباط الدّلالة الهامشية بوظيفة التأثير كما سبق وأن ذكرنا استجابة لطبيعة النفس البشرية، وانقيادها بالفطرة إلى ما يتماشى وهواها، وتزهد عما قد يخالفها يقول ابن طباطبا معبرا عن هذا " النفس تسكن إلى كل ما وافق هواها، وتقلق مما يخالفه، ولها أحوال تتصرف بها، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت. " [4]

فعامل التأثير في الدّلالة الهامشية جعل الكثير من الأشخاص يستعملونها لصالحهم، فمنهم

---

[1]– محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى. ص 218

[2]– علي بن الجهم، الديوان. تح: خليل مردم، الجنة التراث العربي، بيروت، ط2، ص 142،141.

[3]– المصدر نفسه. ص177.

[4]– محمد أحمد بن طاباطبا العلوي، عيار الشعر. شر: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص 21.

من يراها تعود عليه بفائدة مادية، ومنهم من يراها تعبر عما تكنه نفسه من مشاعر وهكذا اختلفت الأذواق والغايات.

ومن بين المجالات التي تستغل الدّلالة الهامشية مجال الدعاية والإعلام* مجال علم النفس*، وكذلك مجال الأدب الذي مثلنا به بشكل خاص كونه يناسب دراستنا.

يمثل المجال الأدبي بشقيه الشعري والنثري أرضية غرسه للاستثمار الدّلالات الهامشية، وذلك للتّعبير عن المشاعر وتحقيق المتعة الأدبيّة، وقد نجد في ذلك اختلافا في الأثر الحاصل الذي يعود بدوره إلى " درجت اكتناز النص المقروء أو المسموع بالايحاءات العاطفية "[1] وكثيرا ما غلب هذا الطبع على الشعراء باقتنائهم لدلالت هامشية يعبرون بها عن مشاعرهم الرقيقة وأحاسيسهم المرهفة.

*- مجال الدعاية والإعلام: ومنها الإشهار الخطابات السياسية إذ يستغل هذا المجال الدّلالة الهامشية لمصالحهم الخاصة "ومن وسائلهم في ذلك اختيار الكلمات التي لها صدى عاطفي في النفوس" بحكم انّ الكلمات المعبرة تخدم غاياتهم وأهدافهم التي يسعون وراء الحصول عليها. محمد محمد يونس علي. المعنى وظلال المعنى، ص 223.

*- مجال علم النفس: ومنه علم النفس التربوي، وعلم النفس العيادي، وتخدم الدّلالة الهامشية هذا المجال كونها تعبر عن عوالم النفس ومكوناتها ومن أبرز علماء هذا المجال رائد مدرسة التحليل النفسي سيغمند فرويد sigmund freud. ينظر: محمد محمد يونس علي. المعنى وظلال المعنى، ص 226.227.

[1]– محمد محمد يونس علي، المرجع نفسه. ص 226.

الفصل الثاني

تجليات الدّلالة الهامشية في القصيدة

1- تجليات الدّلالة الهامشية في القصيدة.

2- هامشية العنوان.

3- مقاطع القصيدة.

1- تجليات الدّلالة الهامشية في القصيدة

قبل أنّ نبدأ في الفصل الثاني بالتطبيق على قصيدة الشاعر تميم البرغوثي* " في القدس " نتكلم بداية عن نمط بنائها، وفي أي ديوان وردت، وما من قصائد أخرى في نفس الديوان.

قصيدة " في القدس " رائعة من روائع تميم البرغوثي، حيث برع في تصوير حال القدس الضاربة أعماقها في التّاريخ القديم والحديث على حد السواء، ولقيمة القدس في نظر الشاعر سمى ديوانه عليها " في القدس "، ومن بين القصائد التي وردن في هذا الديوان: تقول الحمامة للعنكبوت، القهوة، خط على القبر المؤقت، أيها الناس، غزل، ثم يختمه بكلمة شكر.

استهل الشاعر قصيدة " في القدس " على نمط الشعر العمودي القديم، ليعود فينتقل في مقاطع أخرى إلى الشعر الحر الحديث وذلك تماشيا مع تاريخ القدس في مختلف أزمنتها، راسما في ذلك صورة القدس قديما وحديثا بأبها الصور الأسلوبية، وأرقى الدلالات الهامشية، فمن سلامة الفطرة، وطُهر السجيّة أنّ يتغنى الأديب بما يحبه في أعماله الأدبية شعرا، ونثرا على حد السواء، وما فعله الشاعر تميم البرغوثي كان منسوجا ومشابها لأعمال من سبقوه من الشعراء الجاهلين، إذ أنّه استفتح قصيدته بالوقوف على الأطلال، وذكره للديار فالجاهلين إذا جاؤا على ديار قوم أحبوهم من قبل، ومواطن قطنوها أيام صباهم تذكروا ما فيها فزادهم ذلك حبا فيها، وتعلقًا بها، وكل أحد طبع على الوفاء يحن

إلى الديار التي ينتمي إليها وتأخذه صفة الحمية عليها قال أحد الصعاليك: [1]

وَمَا أَنَا إلاَ مِنْ غزيلةَ أنّ غوَتْ غوَيتُ وَإنْ تُرْشِدْ غزيّةُ أَرْشَدِ.

وحب الديار ما تمجدت بالعرب وكان هذا شائعا في المعلقات وهي من خيار الشعر العربي القَديم قال عنترة في ميميته:[2]

هَلْ غَادَرَ الشُّعراءُ منْ مُتَرَدَّمِ أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعدَ تَوَهُّمِ

أَعْيَاكَ الدَّرُ لَمْ يَتَكَلّمِ حَتَّى يُكَلِمَكَ الأَّصَمُ الأَعْجَمِي

وقال لبيد:[3]

عَفَتِ الدّيَارُ مَحَلُّهَا فَمُقَامُهَا بِمنًى تَأَبَّدَ غَوْلُها فَرِجَامُهَا

دمِنٌ تَجَرَّمَ بَعْدَ عَهْدِ أنِيسِهَا حِجَجٌ خَلَوْنَ حَلالُهَا وَحَرَامُهَا

رزَقَتْ مَرَابِيعَ النُّجُومِ وَصَابَهَا وَدَقُ الرَّوَاعِدِ جَوْدُهَا فَرِهَامُهَا

مِنْ كُلّ سَارِيَةٍ وَغَادٍ مُدْجِنٍ وَعَشِيَةٍ مُتَجَاوِبٍ إرْزَامُهَا

فَعَلاَ فُرُوعِ الأيْهُقَانِ وَأَطْفَلَتْ بِالجَلْهَتَيْنِ ضِبَاؤُهَا وَنَعَامُهَا

*- شاعر فلسطيني ولد بالقاهرة عام 1977م، عمل ملحقا ثقافيا بالسفارة الفلسطينية في هنغاريا، له حتمية دواوين باللغة العربية الفصحى، بالعاميتين الفلسطينية والمصرية وهي: القدس، المنظر، مقام عراق، قالوا بنص مصر قلت مش عارف، بين الشعر الفلسطيني.

[1] - دريد بن الصمة، الديوان. تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، دس، ص222.

[2] - عنتر بن شداد، الديوان. المعلقة، فاضية الميم، ص80.

[3] - لبيد بن ربيعة العامري، شرح الديوان. حق: احسان عباس حكومة الكويت، الكويت 1962م، ص297،298.

بعد أنّ مهدنا لك ووطأنا مغزى القصيدة، ونمط بنائها، ننتقل إلى الجزء المهم في هذا الفصل والمتمثل في إبراز كل ما هو هامشي في القصيدة.

إنّ ذكرنا للكلمات تختلف من شخص لآخر ؛ فاستخدام الإنسان العادي لمفردات معينة ليس بالضرورة أنّ يجعل هذه المفردات حمالة معان ؛ إذ نجده يعرضها على شكل معاني ثابتة كما وردت في المعاجم؛ وذلك لتحقيق الفهم المشترك بين المتكلم والسامع، في المقابل يختلف حس الشاعر تماما عن الإنسان العادي، فلا يكاد يبين معاني الكلمات بل يقوم بتحويل معاني المفردات من معروف إلى شيء آخر يعتريه الغموض، " فتخرج الكلمة من دلالتها العادية الى دلالة جديدة نستشفها من خلال التأويل". [1] فشتان بين ما هو واضح جلي وما هو غير واضح.

يلجأ الشاعر إلى الفيض بقريحته بإحداثه لصور فنية مختلفة تعكس تجربته الخاصة، وهذه القريحة هي التي تجعله يسمو بالمعاني التي يريد توصيلها من المستوى الأول الذي يفهمه كافة الناس، إلى المستوى الثاني الذي يفهمه نخبة من الناس وفقط، وهو بذلك يخلق نوعا من الدهشة لدى القارئ ويجعله يشتغل، ويُجهد نفسه من أجل فهم ما قد يبدوا مضمرا، وقد يُختلف في فك شفرات النصوص من قارئ لآخر حسب الحسه الثقافي، والزاد المعرفي حول الموضوع.

2- هامشية العنوان

يعد العنوان مفتاح، وعتبة كل نص إذا ما أراد القارئ أنّ يفهم عن الكاتب مقصوده بصفة عامة، ولأهمية هذا العنصر في البحث العلمي بشكل عام، والأدبي منه بشكل خاص

[1] - دليلة الباح، المركز والهامش. في أدب عيسى لجيح، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016/2015م، ص81.

اجتهد الباحثون في تجليتهم لمختلف عناوين البحوث تحت ما يعرف بسمياء العنوان أو سيماء العتبات؛ بغية معرفة الموضوع الذي يدور حوله العمل الأدبي.

وقد جاء عمل تميم البرغوثي موسوما بعنوان " في القدس " ؛ حيث أفاد حرف الجر الكينونة مجليا بذلك حقيقة واحدة مفادها أنّ القدس موطن الفلسطيني فيما سبق وسيظل كذلك لأبد، وأن هذه حقيقة لا يمكن لأحد نكرانها.

3- مقاطع القصيدة

- المقطع الأول من القصيدة: هامشية الحبيبة

لقد حاول تميم البرغوثي إبراز مكانة القدس عنده، وأنها بلغت عنده شأنا عظيما مستعملا في ذلك ظل الحبيبة من أجل التعبير عن حبه وإجلاله للقدس لا غير يقول:[1]

مَرَرْنَا عَلَى دَارِ الّحَبِيبِ فَرَدّنَا عَنِ الدَّار قَانُونَ الأَعَادِي وَسُورَهَا

ثم يحاول وصف فرحته، وبهجته، وسروره حين لقائه بهذه الخليلة التي تسّر وتّطرب نفسه حينها بلقائها، لكن سرعان ما تغيب هذه الحبيبة عن ناظيره يصبح في حالة من الضير واليأس كيف لا وهي الصورة التي تعجبه ويُسرّ إليها يقول[2]:

وَمَا كُلُّ نَفْسٍ حِينَ تَلْقَى حَبِيبَهَا تُسَرُّ وَلاَ كُلَّ الغِيَابِ يُضِيرُهَا

لقد صوّر لنا الشاعر في هذا البيت موقفه من السرور بالقدس العتيقة القديمة قبل أنّ تدنسها أقدام الاحتلال، محاولا إبقاء صورتها رفيقة مخيلته قبل فراقه لها بسبب الاحتلال،

---

(1) - تميم البرغوثي، الديوان "في القدس". دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2009م، ص8.

(2) - المصدر نفسه. الصفحة 8.

لأنه عند لقائها بعد الاحتلال وجدها على غير الحالة التي تركها عليها فقد ساءت حالتها كثيرا.

- المقطع الثاني: هامشية الرموز

استحضر الشاعر مجموعة من الرموز والتي مثّلت مختلف أطياف المجتمع المتواجدة في القدس المحتلّة يقول:[1]

فِي القُدْسِ، بَائِعُ خُضْرَةٍ مِنْ جُورْجَيَا بُرْمٌ بِزَوجَتِهِ يُفَكِرُ فِي قَضَاءَ إِجَازَةٍ أَوْ فِي طِلاَءِ البَيْت.

فِي القُدْسِ، تَوْرَاةٌ وَكَهْلٌ جَاءَ مِنْ مَنْهَاتِن العُلْيَا يُفَقّهُ فِتْيَةَ البُلُونِ فِي أَحْكَامِهَا.

فِي القُدْسِ، شُرْطِيٌ مِنَ الأَحْبَاشِ يُغْلِقُ شَارِعًا فِي السُوق،

رَشاشٌ عَلَى مستوطنِ لمْ يبلغُ العشرينَ.

قبعةٌ تُحيّ حَائطَ المَبكَى.

وَسيَاحٌ منَ الإفرَنْجِ شُقْرٌ لاَ يَرونَ القُدسَ إطْلاَقًا.

تَرَاهُمْ يَأْخُذُونَ لِبعضِهِمْ صُوَرَا.

معَ امرأةٍ تبيعُ الفجلَ فِي الساحاتِ طولَ اليومِ.

فِي القُدسِ أسوارٌ منَ الريْحَانِ.

فِي القدسِ متراسٌ منَ الإسمَنْتِ.

---

[1] - تميم البرغوثي، الديوان. الصفحة 7 و8.

فِي القدسِ دَبَّ الجُندُ مُنتعِلِينَ فَوقَ الغَيمِ.

فِي القدسِ صَلينَا عَلى الأسْفَلْتْ.

كل هذه الأطياف التي ذكرها الشاعر تمثّل شخصيات الاحتلال الصهيوني ؛ بدءا من بائع الخضار الذي يلعب دور الجاسوس فهو يملك كل الأخبار في السوق، واليهودي المتدين الذي يقوم بدور المعلم لفتية البُلون في أحكام التوراة، وهو بذلك يسيطر على عقليات المتمردين من المسلمين محاولا بذلك طمس الشخصية العربيّة المسلمة، ثم ذلك الشرطي الذي يغلق شارع السوق في القدس، فبدلا من تمثيله لمبدأ الأمان، والطمأنينة يفعل فعلته بغلقه للسوق حتى يُجوعَ القوم وحتى ينعدم الأمان ويسيطر على الوضع، وذلك المستوطن الذي يحمل الرشاش بصفته يمتلك حرية كل شيء وأنه أصبح قاطنا بصفة رسمية، كما يظهر في القصيدة السياح الأجانب، وعدم مبالاتهم بما يحدث في القدس الشريفة؛ بحيث أنهم لم يقوموا بأية ردة فعل ؛ فمن المفروض هم الذين ينقولون صورة القدس المحتلة للعالم ويطرحون قضيتها في هيئات تَعْنِيهَا سلامة الشعوب وحريتهم، لكنّهم ظهروا بشكل يثير السخرية والاستهزاء، كما أظهر الشاعر شخصيات مسلمة دبّت للصلاة دون اكتراثها لما يحصل لها من قبل الاستعمار الغاشم.

في هذا الجزء أبرز الشاعر خليطا من مختلف الأجناس من جورجيا، ومنها ثن والحبشة، الأجانب وغيرهم... محاولا بذلك تجلية مدى بعدهم عن الدِّين والعروبة لكن ما يضل يجمع هؤلاء هو تكالبهم على الأمة والشعب الفلسطيني.

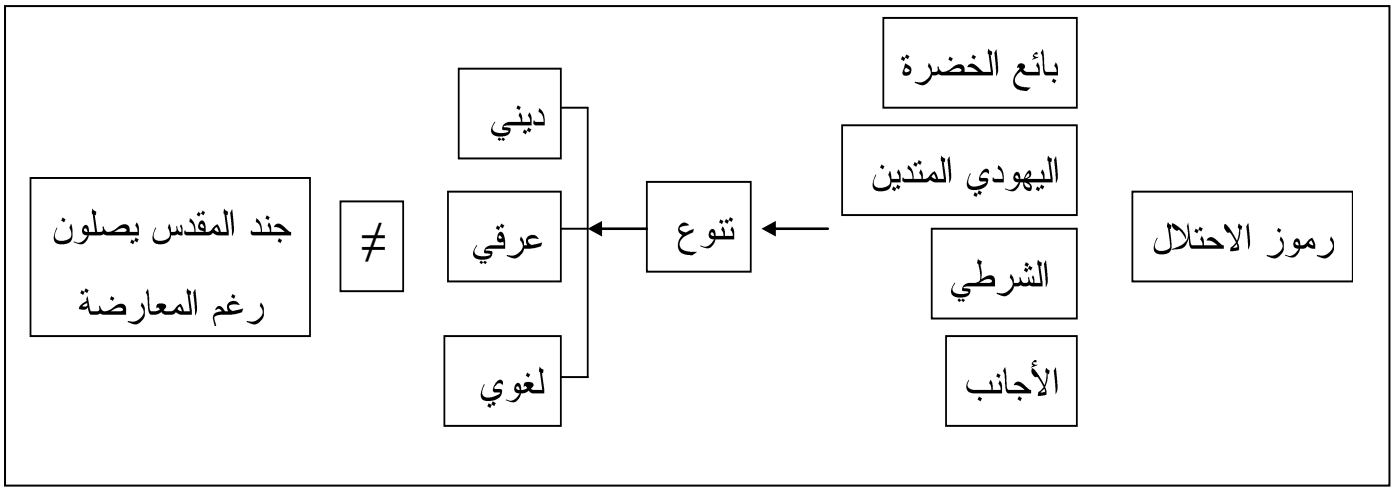

الشكل (3): مخطط يوضح هامشية رموز الاحتلال ومعارضيهم من المسلمين.

- المقطع الثالث: هامشية التّاريخ

استهل الشاعر هذا المقطع بتشخيصه للتّاريخ وجعله طرفا محاورا له يقول: [1]

وَتَلَفّتَ التّارِيخُ لِي مُبْتَسِمًا.

فاستعماله لصيغة الماضي دَلَّ عَلَى المَاضي الجميل للقدس قبل أنّ تدنس، ودلّ كذلك على عهد السيطرة والقوة وما أحالنا على ذلك أنّه ختم البيت بكلمة مبتسمًا.

ثم يواصل التاريخ حواره يقول:[2]

هَا هُمْ أَمَامَكَ.

فالتّاريخ يحاول إخباره بأنّ غير المستوطنين لن تبصر، فهم أصبحوا السلطة المركزية وما وما غير ذلك هامش لا يأبه له أحد يقول الشاعر:[3]

.... مَتنُ نَصِ أَنْتَ حَاشِيَةٌ عَلَيهِ وَهَامشٌ.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص8.

[2] – المصدر نفسه. ص 8.

[3] – المصدر نفسه. ص 8.

ثم يحاوره التّاريخ مرة أخرى مستنكرا بأنّ الزيارة التي ترغب منها ما يسرّك ضرب من خيال، وأنّ الكل موجود سوى صاحب الحق فهو مغيَّب يقول[1]:

أَحَسِبتَ أنّ زِيَارَةً سَتزِيحُ عَنْ وَجهِ المَدِينَةِ يَا بنيَّ.
حِجَابَا وَاقِعهَا السّمِيكَ لِكيْ تَرَى فِيهَا هَوَاك.

فِي القدسُ كُلّ فَتَى سِوَاكْ.

- المقطع الرابع: رمزية الثبات

يَردُّ الشاعر في هذا المقطع على التّاريخ، ويطلب منه عدم التسرّع في كتابة الأحداث، حيث صوّر الشاعر أمرين مختلفين تعيشهما القدس في أنّ واحد، الأمر الأول الاحتلال الصهيوني ومطامعه التي لا تتغير بالسيطرة على فلسطين يقول:[2]

فَالّمَدِينَةُ دَهْرُهَا دَهْرَانِ

دَهرٌ أجْنَبيٌ مُطمئِنٌ لاَ يُغيرُ خَطوَهُ وَكأّنهُ يَمشِي خَلالَ النّومْ.

فبمجرد تشبيه الشاعر لقوات الاحتلال بالنّائم عدلت الدّلالة عن مفهومها الظاهري إلى مفهوم خفي هامشي، فدلالة النائم هي رؤيته لكوابيس وأحلام تختفي بمجرد استيقاضه من النوم، وكذلك مساعي الاحتلال التي باتت أضغاث أحلام، كما أنها لن تتحول إلى واقع أبدا وهذا آت لا محال.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص8.

[2] – المصدر نفسه. ص 9.

أما بالنسبة للأمر الثاني فمثل مقاومة الشعب الفلسطيني، وصموده ضد كل المخططات الصهيونية، كما يمثل الجانب الحذر الذي ينتظر بفارغ الصبر مجيء الوقت المناسب للانتقام ورد المظالم يقول الشاعر:[1]

وَهُنَاكَ دَهْرٌ كَامِن مُتَلَثّم يَمْشِي بِلاَ صَوْت حَذَار النّوم.

- المقطع الخامس: رمزية الاعتزاز بالمكان والهوية

يبرز الشاعر في هذا المقطع هوية القدس العربية الفلسطينية، والدّليل أنّ كل شيء فيها يدُلَّ على هوِّيتها الحقيقيّة يقول الشاعر:[2]

وَالقُدسُ تَعْرِفُ نَفْسَهَا، فَاسأَلْ هُنَاكَ الخُلْقُ يَدُلُكَ الجَمِيعُ.

ثم يكمل قائلا:[3]

فَكُلُّ شَيءٍ فِي المَدِينَةِ.

ذُو لِسَانٍ، حِينَ تَسْأَلُهُ، يُبَيّن.

إنّ استعمال الشاعر لعبارة " ذو لسان " جعل الدّلالة تنزاح عن مفهومها المركزي الذي يتجلى في الإبانة عند الإنسان (الإبانة عند الفلسطيني هو قوله لا وجود للاحتلال في أراضينا)، إلى مفهوم آخر عندما قام بتجسيد كل شيء في القدس في شكل إنسان يستطيع الإفصاح والمحاورة.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان . ص9.

[2] – المصدر نفسه.ص 9.

[3] – المصدر نفسه.ص 9.

فالشاعر بفكره الواسع أراد أنّ يوصلنا إلى نقطة مهمة وهي أين تكمن علاقة الإبانة عند الإنسان، وعند غيره مما هو موجود ومرتبط بالقدس من بنايات، وشوارع ،وحتى تاريخها، وتراثها العريق ؟

والمعروف أنّ الإبانة عند الإنسان كامنة تحت لسانه، كما أنّ لفظة " يبين " لم تدل على مصطلح الإبانة فقط بل مثلت الأصالة، والفصاحة، والحنكة، أما الإبانة عند غير الإنسان فيقصد بها الشاعر تلك البيانات والشوارع التي تمثل شموخ القدس وأصالتها، فباستطاعتنا تدوين تاريخ القدس باستنطاق كل ما هو موجود في القدس، فتكون بذلك في غنى عن شاهد حي يروي لنا قصتها.

فبرغم من حركة الاستيطان التي تستهدفها إلا أنّ ما كان موجودا فيها باق ولا زال يمثل ماضي وحاضر الشعب الفلسطيني.

وأخيرا نخلص إلى أنّ العلاقة التي تربط الإبانة عند الإنسان وعند كل ما هو موجود في القدس هي علاقة تأكيد الهوية والاعتزاز بالوطن الأم.

- المقطع السادس: هامشية القرابة

يجسِّد الشاعر في هذا المقطع حال الشعب الفلسطيني وهو يترك القدس للمستعمرين ليبقى مترقِّبا من بعيد لا أكثر يقول الشاعر:[1]

فِي القُدْسِ يَزْدَادُ الهِلاَلُ تَقَوّسًا مِثْلَ الجَنِينِ.

حَدَبَا عَلَى أَشْبَاهِهِ فَوْقَ القِبَابِ

[1] - تميم البرغوثي، الديوان. ص 9.

مثّل رمز الهلال الشعب ونزوحه عن أرضه ؛ حيث يشبه عملية النزوح بعملية خروج الجنين لأنه كلما زادت تقلصات الرحم كان ذلك مخبرا، ومؤذنا بخروجه، كما استعمل لفظة القباب ليس لدلالة على ما يعلو المساجد وإنما مثلت الجبال التي آوى إليها الشعب للترقب عن بعد ما حل بموطنهم، كما شبه ذلك الترقب من بعيد بعلاقة الأب ببنيه، فالأب خلال رعايته لشؤون أولاده لا يهتم بتفاصيلها كما تفعل الأم، بل يرعى شؤونهم بعيدا عن أدق التفاصيل.

- المقطع السابع: هامشية روحية قبه الصخرة

يوضح لنا الشاعر في هذا المقطع العديد من الصور منها:

قدم وعراقة القدس الأبية يقول: [1]

فِي القُدْسِ أَبْنِيَة حِجَارَتُهَا اقْتِبَاسَات مِنَ الإِنْجِيلِ وَالقُرْآن.

فإذا ما عدنا إلى تاريخ نزول هذه الكتب نجدها تعود إلى حقب زمنية بعيدة جدا تعبر بقرون وقرون، فهي بذلك مهد للأنبياء ولحضارات عدة.

لينتقل في مقاطع موالية واصفا قبة الصخرة، فما هو جلي للأعيان جمال لون القبة وشكلها؛ لكن ما هو هامشي باطني يكمن في كونها ملجأ المناجين، فعلى قدر اتساعها وعلوها ماهي إلاّ قبلة لكل الداعين يقول الشاعر:[2]

تَبْدُو بِرَأْيِ، مِثْلَ مَرْآَة مُحَدّبَة تَرَى وَجْهَ السّمَاء مُلَخَّصًا فِيهَا.

تُدّلِّهَا وَتُدْنِيهَا.

---

[1] - تميم البرغوثي، الديوان. ص 9.

[2] - المصدر نفسه. ص9.

لقد انتقل الشاعر بذلك المجسَّمِ من شكله المادي إلى ما هو أرقى، وأسمى إلى ما هو روحي خالص؛ حيث أنه جلى السماء فيها دالا بذلك على الاتساع، والطمأنينة، ورحابة الصدر وذلك عندما ينظر المصلون إلى أعلاها سامين بأرواحهم في فضائها، راجين القبول منها.

كما يصور لنا الشاعر مراسم تقبل دعاء المناجين دبر كل صلاة جمعة يقول:[1]

تُوَزِعُهَا كَأَكْيَاسِ المَعُونَة فِي الحِصَارِ لمُسْتَحَقِّيهَا.

إذَا مَا أُمّه مِنْ بَعْدِ خُطْبَة جُمُعَةٍ مَدّتْ بِأَيْدِيهَا.

يختم الشاعر هذا المقطع بقوله أنّ القدس مسؤوليّة الجميع، والكل مستعدّ لأن يحمل هذه المسؤولية على عاتقه رغم مرور السنين، وأنّهم لن يتخلوا عن هذه القضية مهما كانت الظروف، وقد دلّ على هذا لفظة حَمْلاً بدل حِمْلاً لأننا نستعمل الصيغة الأولى للدّلالة على ما هو خفيف، ونستعمل الثانية للدّلالة على ما هو ثقيل حمله يقول:[2]

وَفِي القُدّسِ السمَاُء تَفَرّقَتْ فِي النَاسِ تَحْمِينَا وَنَحْمِيهَا.

وَنَحْمِلُهَا عَلَى أَكْتَافِنَا حَمْلاً إذَا جَارَتْ عَلَى أَقْمَارِهَا الأزْمَانُ.

- المقطع الثامن: هامشية الصراع بين الأمل والحرب

يُكمل الشاعر في هذا المقطع وصفه للقدس وهو ما ظاهر للأعيان، لكن ما هو هامشي يتمثّل في دلالة تلك الأعمدة الدّاكنة، وتتجلّى هذه الدّلالة عند ربطنا للفظ داكنات ودخان،

---

[1] - تميم البرغوثي، الديوان. ص9.

[2] - المصدر نفسه. ص9.

وكأن لون الأعمدة صار داكنا بفعل الغارات الجوية التي تشنها قوات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني يقول الشاعر: [1]

فِي القدسِ أعمِدةُ الرُخامِ الدَاكِناتِ.

كأَنَّ تَعرِيفِ الرُخامِ دَخانٌ.

ثم يصور الزخرفة الجميلة والفسيفساء التي تعلو نوافذ المساجد يقوله: [2]

وَ نوافِذَ تَعلُو المَساجِدَ وَالكَنائِسَ.

بعد ذلك ينتقل لينقل لنا الصراع بين الطرفين المتخاصمين يقول الشاعر: [3]

وهو يقول: " لا بل هكذا "

فتقول: " لا بل هكذا "

لكن في حقيقة الأمر هذا الصراع ليس صراع بين شخصين، بل صراع بين قطبين قطب الأمل وقطب الحرب.

برز بصيص الأمل عند ما استعمال الشاعر لعبارة أَمسَكتْ بِيدِ الصَّبَاحِ في قوله: [4]

أَمْسكتْ بِيدِ الصّبَاحِ تُريهِ كيفَ النقّشُ بِالألوَانِ.

كما يختم الشاعر هذا المقطع بالتركيز على ضرورة التمسك بالطاعة، وإتباع الدين، وجعل الشهادة رحلة كل فلسطيني ؛ حيث أنّه عبر عن تلك المعاني بعبارة نوافذ الرحمن،

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص10.

[2] – المصدر نفسه. ص10.

[3] – المصدر نفسه. ص10.

[4] – المصدر نفسه. ص10.

فالكل يدفع الثمن لاسترجاع فلسطين، فما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، فليس هناك شيء أغلى من الشهادة في سبيل الله.

- المقطع التاسع: هامشية الظاهر بيبرس

يتحدث الشاعر في هذا المقطع عن عهد المماليك، وبنائهم للمدارس نحو: المدرسة الإسلامية، الوجيهة، القادرية... لكنه ركز على شخصية واحدة من المماليك، والتي تمثلت في الظاهر بيبرس وقد اتضح لنا هذا من خلال الوصف الذي أعطاه لنا الشاعر لهذه الشخصية؛ فأصوله مما وراء النهر، وقد تم بيعه في سوق النخاسة في أصفهان، بعدها وصل مصرا وأصبح حاكما على المسلمين يقول الشاعر:[1]

فِي القُدسِ مَدرسةٌ لِمملُوكٍ أَتَى مِمَا وَرَاءَ النَّهْرِ،

بَاعُوهُ بِسوقِ نَخَاسةٍ فِي أصْفَهانَ.

لِتاجِرٍ منْ أهلِ بَغدَادَ أَتَى حَلَباً فَخافَ أَميرهَا مِن زُرقةٍ فِي عَينهِ اليُسرَى، فَأعطاهُ لقَافِلةٍ أَتَتْ مِصرًا فَأَصْبحَ بَعدَ بِضْعِ سِنِينَ غَلاَّبَ المَغُولِ وَصاحِبَ السُلطَانِ.

ما نلاحظه عن هذا المقطع أنّ الدّلالة المركزية تمثلت في الأحداث التي جرت مع الظاهر بيبرس، لكن يأخذنا باب التأويل إلى مفهوم آخر ؛ حيث أنّ الظاهر بيبرس انتقل من مرحلة اللاوجود والعدم إلى مرحلة الوجود كونه أصبح سلطانا على مصر، والشام وهذا يدلنا بدوره على أمر مهم، وهو أنّ اليهود لما أتوا فلسطين كانوا عبيدا لا أكثر لكن

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص10.

بفعل مكرهم واحتيالهم أصبحوا رويدا رويدا ملوكا، وحكاما على الأراضي الفلسطينية كما يزعمون.

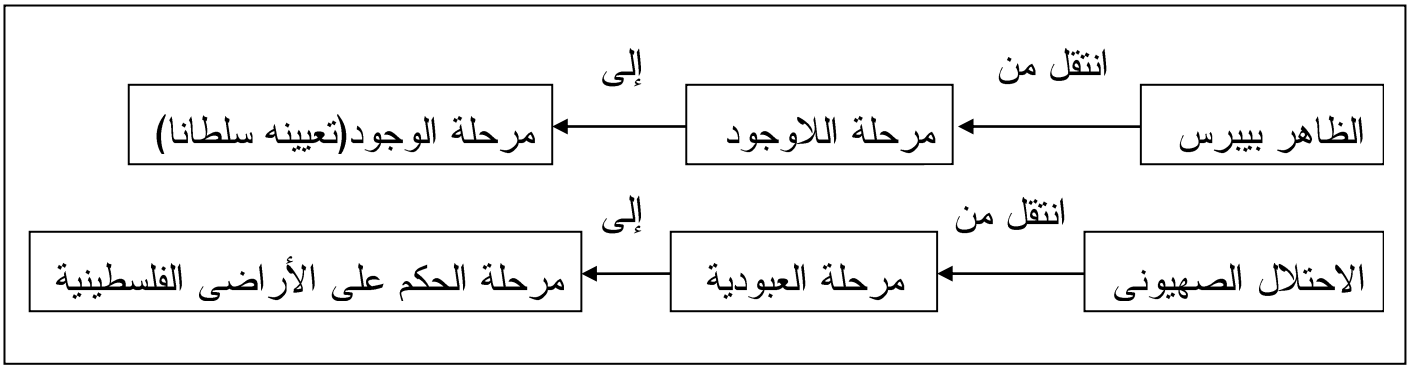

الشكل (4): مخطط يوضح هامشية الرمز التّاريخي الظاهر بيبرس.

- المقطع العاشر: هامشية الإصغاء

عرض الشاعر في هذا المقطع بلدانا نحو الهند وبابل كدلالة ظاهرة مركزية، لكن في حقيقة الأمر يمثّل رمز البلدان حركة النشاط والتجارة، لأن بابل تبعد عن الهند بكثير يقول الشاعر:

فِي القُدسِ رَائحةٍ تُلخّصُ بَابِلاً وَالهندَ فِي دُكَانٍ عَطارٍ بِخانِ الزّيتْ.

ثم يتابع الشاعر عرض الأحداث في سلسلة من الدلالات الهامشية يقول: [1]

و الله رَائحةٌ لهَا لُغَةٌ سَتَفهَمهَا إذَا أصْغَيَتْ.

يمثل رمز اللغة القنابل المسيلة للدموع، لكن في حقيقة الأمر نلتمس الرائحة بشمها لا بالإصغاء إليها؛ فالشاعر تعمّد هذه المفارقة من أجل توضيح مسألة مهمة وهي أننا في بادئ الأمر كنا نسمع عن الاحتلال لا نرد له بالا، ولم نكن مركزين جيدا حيال الأمر،

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص10.

ودليل ذلك استعمال الشاعر للفظة " أصغيت " بدل " سمعت " والمعلوم أنّ الإصغاء يكون مصحوبا بعامل التركيز على عكس السماع والاستماع، لكن سرعان ما داست أقدام الاحتلال البلاد الفلسطينية أصبحنا أكثر حذر من ذي قبل.

ثم بعد ذلك يستعمل الشاعر عبارة " لا تحفل بهم " وكأننا كنا آنفا نهتم لأمرهم ونحفل بهم يقول الشاعر: [1]

وَتقولُ لِي إذْ يُطْلِقُونَ قَنَابِلَ الغازِ المُسيلةِ للدُموعِ " لاَ تَحْفلْ بِهِمْ "

و ذلك بعدما أصبح الاحتلال عاهة على البلاد الفلسطينية يقول: [2]

وَتَفوحُ منْ بعدِ انْحسَارِ الغَازِ، وَهِي تَقُولُ لِي أرَأيتَ.

ما نخلص إليه في هذا المقطع هو أنّ اليهود لم يأتوا لعامل التجارة، وإنما لغرض دنيء تمثل في الاستعمار الغاشم الذي وطئ البلاد.

- المقطع الحادي عشر: هامشية البقاء

يشير الشاعر في هذا المقطع إلى العجائب، وليس المقصود بالعجائب ما يحدث في فلسطين من تقتيل وإسالة للدماء ؛ بل يتكلم الشاعر عن المعجزات التي مرت بها بلاد القدس الكائنة بقدرة ربانية، وتقدير إلهي لا يستطيع أحد من البشر إنكارها، وهو بذلك يصور هيبة وبقاء المسجد على حاله منذ زمن المعجزات حتى يومنا الحالي يقول: [3]

فِي القُدسِ يَرتاحُ التّناقضُ وَالعَجائبُ ليسَ يُنكرهَا العِبادُ.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص10

[2] – المصدر نفسه. ص10.

[3] – المصدر نفسه. ص11.

ليعود فيشبّه هذه المعجزات بقطع القماش ليدل بذلك على أنّ القدس عرفت معجزات وأحداث عدة، لكن رغم توالي الأحداث فيها بقيت صامدة في وجه العدو يقول: [1]

كَأنهَا قِطعُ القُماشِ يُقلبونَ قَديمهَا وَحديثهَا.

ثم تابع الشاعر تصويره للمعجزات الحالية والمتمثلة في:

قلة الإمكانيات لدى الشعب الفلسطيني؛ فالمعروف أنهم يلقبون بأبناء الحجارة، كذلك هيكل بيت المقدس الذي لازال على حاله رغم ما يمر به من عمليات الحفر وذلك بسبب فضول الاحتلال ومحاولة معرفة كيفية تشييد هذا البناء العظيم، فالبرغم من كل تلك الأفعال إلا أنّ المسجد لا زال ثابتا، وشامخا، ورمزا من رموز الإسلام ومعجزاته يقول الشاعر:

وَالمعجزَاتُ هُناكَ تَلمسُ بِاليدينِ [2]

- المقطع الثاني عشر: هامشية المكانة والقيمة

يوضح لنا الشاعر في هذا المقطع عدة دلالات تحيل على مكانة وقيمة القدس لدى كل كائن فيها يقول الشاعر:[3]

فِي القُدسِ لَوْ صَافحتَ شَيخا أوْ لَمستَ بِنايَةً.

1- دلالة الشيخ: وتحيلنا بدورها على أمرين الأول ذلك الشيخ الضارب في العمر والذي يمثل التجربة والخبرة الطويلة، والأمر الثاني لا يشترط أنّ يحمل الكبير منا مسمى الشيخ، بل هناك من الصغار ما نصطلح عليهم هذا المسمى وذلك لما يمتلكونه من فكر منوع، وتجارب عديدة أشربتهم صفة الشيخوخة.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص11.

[2] – المصدر نفسه. ص11.

[3] – المصدر نفسه. ص11.

2- البناية: نحن إذا ما تجولنا في شوارع فلسطين وجدنا كل شيء يحيلنا على ما ضيها العريق، بمعنى أنّ رمز البناية والشيخ شيئين مختلفين لكنهما يمثلان الصورة ذاتها، وهي مكانة القدس وقيمتها التي باستطاعة كل من الإنسان وحتى الجمادات التعبير عن أصالتها وتاريخها الطويل.

ثم يقول: [1]

لوَجدتَ مَنقوشًا عَلَى كَفّيكَ نَصَّ قَصيدَةٍ.

فالدّلالة المركزية لـــ " نص قصيدة " النص المكتوب، وأسطره، لكن إذا ما تمعنا في معانيها وجدناها تعبر بأسطرها عن أشياء كثير منها: التّاريخ، الصمود، الوطنية، الحرية وغيرها مما تحفل به القدس الأبية.

- الثالث عشر: هامشية التفاؤل

يصور لنا الشاعر في هذا المقطع مدى تفاؤل الشعب الفلسطيني بحصوله على الحرية وقد دلّ على ذلك قوله: [2]

فِي القُدسِ رَغمَ تَتابعِ النَكَبَاتِ، رِيحُ بَراءةٍ فِي الجوِ ، رِيحُ طُفُولَةٍ.

جاءت " لفظة " ريح مؤذنة بالتشاؤم لأن هناك فرق واضح بين مدلول الريح ومدلول الرياح، فمدلول الرياح دل على الخير واللطف والرعاية من المولى عز وجل قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾. [سورة الحجر الآية 22].

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص11.

[2] – المصدر نفسه. ص11.

أما مدلول الريح فدلّ على الغضب والعقوبة قال تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾. [سورة الحاقة 6].

فدلّت الأولى عن كل ما هو خير والثانية عكس ذلك، لكن ما نلاحظه هو أنّ الشاعر ربط بين المفهومين، عامل التشاؤم وعامل التفاؤل، وأبرزت ذلك عبارتي: " براءة في الجو " و" ريح الطفولة " وهذا من أجل إبراز مدى تفاؤل الشعب الفلسطيني بالحرية، ومستقبل جديد وسط كل ما يدعو إلى التشاؤم.

ثم يكمل الشاعر تصويره لعامل التفاؤل في شكل رائع يقول:[1]

فَترَى الحَمامَ يَطيرُ يعلنُ دَولةً فِي الرِيحِ بينَ رَصاصَتينْ.

في هذا السطر توجد أربع دلالات هامشية ؛ فبمجرد سماعنا للفظة " حمام " يتجلى في أذهاننا مباشرة مفهوم السلام، لكن الشاعر أضفى في حقيقة الأمر على الكلمة مفهوما آخر وهو فلسطين بحد ذاتها؛ كونها دولة عاشت في سلام وستظل كذلك.

أما عن الدولة فلا توجد دولة دون مقومات: دولة ذات أسس، مبادئ، جيش، قانون ؛ حيث عبر الشاعر عن هذه المبادئ أو المقومات بمصطلح الدولة.

أما عن لفظة الريح كما سبق وأشرنا بأن الريح تدل على نوع من الشر والتشاؤم فجاءت الدّلالة الهامشية مقصورة على الحرب والمشاكل.

إذا ما تكلمنا عن الرصاصتين نقول بأنهما عبارة عن طلقات من عيار معين، وتختص بسلاح معين نحو: كلاشنكوف، pa وغيرها من أنواع الأسلحة، لكن دلت في نص القصيدة على طرفين كانوا سببا في تقتيل وتشريد آلاف الفلسطنيين وهما إسرائيل وحليفتها

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص11.

أمريكا، لكن ما نخلص إليه من استعمال الشاعر لمختلف هذه الدلالات: ريح، حمام، رصاصتين، ريح براءة، هو الإعلان عن ثورة من أجل الحرية، وأن فلسطين ستستعيد مجدها كسابق الأزمان كونها دولة عربية عاصمتها القدس.

- المقطع الرابع عشر: هامشية الوجهة

يصور الشاعر في بداية هذا المقطع مصير الفلسطنيين المتمثل في التضحية والاستشهاد، وأنهم هم من اختاروا هذا المصير دون أي إجبار، وبكل سرور والدليل على ذلك فعل " تنتظم " فدل هذا الفعل على إرادة الشعب الفلسطيني في أداء الشهادة أكثر من أي أمر آخر يقول:[1]

فِي القُدسِ تَنْتَظِمُ القُبورُ، كَأنهنَ سُطورَ تَاريخِ المَدِينةِ وَالكِتابُ تُرابُهَا.

كما أنّه وصف هؤلاء الشهداء بأنهم ضحايا الاحتلال حيث عبرت كلمة " سطور " على الضحايا، وعبرت كلمة الكتاب على الصهاينة المعروفين بأهل الكتاب، فبمجرد طينا للكتاب يصبح ما بداخله من سطور قتيل الدفتين.

ثم يغير الشاعر منحى القصيدة في أبيات أخرى ليبرز الكم، والتّنوع من الشعوب الذين وطئت أقدامهم القدس يوما ما، رغم اختلاف ألوانهم، ودياناتهم، وعاداتهم وكل ما يتعلق بهم، كل ذلك كان توضيحا من الشاعر على أنّ القدس قبلة المسلمين العرب وغيرها من شعوب العالم يقول: [2]

فَالقدسُ تَقبلُ مَنْ أَتاهَا كَافرَا أوْ مُؤمنًا.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص11.

[2] – المصدر نفسه. ص11.

امررْ بِهَا وَاقرأْ شَواهِدهَا بِكلِ لُغَاتِ أهلِ الأرضْ.

فِيهَا الزِّنجُ وَالإفْرَنجُ وَالقِفجَاقُ وَالصقْلابُ وَالبِشْنَاقُ،

والتَاتَارُ والأتْرَاكُ، أَهلُ الله وَالهُلاّكُ، وَالفَقراءُ وَالملاّكُ، وَالفُجّارُ وَالنّسَاكُ،

فِيهَا كلُ منْ وَطِئَ الثَّرَى.

ثم يعود للحديث عن الصهاينة معبِّرا عنهم بلفظة " هوامش " وذلك دليل على عدم وجودهم من قبل، لكن بفعل مكرهم أصبحوا حكاما على فلسطين يقول: [1]

كَانُوا هَوامشَ فِي الكِتابِ فَأصبحُوا نَصْ المَدِينةِ قَبْلنَا.

فالمعروف عن الهامش في كتاب ما أنه يأتي على أطرافه، وبذلك تكون سمعة ما بالدخل أفضل.

بعدها يكمل عتابه لكن هذه المرة مع الزمن الذي سجل الأحداث بكل تفاصيلها، إلا أنّه استثنى أهل القدس وفلسطين بأكملها من الوجود وقام بتهميشها يقول:[2]

يَا كَاتبَ التّاريخِ ماذَا جَدّ فاسْتَثْنَيْتَنَا.

أَرَأَيْتَهَا ضَاقتَ عَلَينَا وَحْدَنَا.

وكأنه يقول أننا أهل القدس ونحن أولى بها من الغير، ثم يطلب من الزمن الذي جسّده في صورة شيخ بأن يعيد كتابة الأحداث التي سبق وأخطأ في تدوينها، فقد نقل الحاضر البائس وكل أحداث اليوم ونسي التّاريخ الأصيل للقدس الأبية.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص11.

[2] – المصدر نفسه. ص11، 12.

فالمفروض على الزمن أنّ يقرأ عن تاريخ القدس ثم يسجل أخبارها، فالأصل في الأمر القراءة ثم الكتابة، لكن الزمن وقع في لحن بحيث أنه سبَّق عامل الكتابة على القراءة، وقد أضفى التقديم والتأخير جمالية أدبية في منتهى الروعة يقول:[1]

يَا شَيخُ فَلتعدِ الكِتَابةَ وَالقِراءةَ مَرةً أُخرَى، أَرَاكَ قَدْ لَحَنتْ.

فاللحن الظاهر للأعيان تجلى في ترتيب القراءة، والكتابة لكن برز اللحن الهامشي أو الباطني في لحن الزمن وكتابته للأحداث قبل قراءتها.

- المقطع الخامس عشر: هامشية الصراع بين التشاؤم والتفاؤل

يصور الشاعر في هذا المقطع حاله وهو يغادر القدس لأنه يعيش حالة من التردد، فنجده يغمض عينيه تارة كي لا يبصرها وهي تغيب عن ناظريه، وتارة يعيد النظر فيها لأنه لم يحتمل فراقها يقول:[2]

العَينُ تُغمضُ، ثُمَ تَنْظرُ.

بعدها يصور حالته وهو يغيب عن القدس قائلا:[3]

العَينُ تُغمِضُ، ثُمَ تَنْظرُ، سَائقَ السَيارَةِ الصَّفرَاءِ، مَالَ بِنَا شَمَالاً نَائيًا عَنِ البَابِ.

وقد عبرت لفظة " شمالا " عن دلالة هامشية مفادها التشاؤم واليأس، وكثيرا ما وردت اللفظة بهذا المفهوم في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ﴾. [سورة الحاقة الآية 25].

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص12.

[2] – المصدر نفسه. ص12.

[3] – المصدر نفسه. ص12.

ثم يواصل الشاعر نقل إحساس التشاؤم بقوله: [1]

القُدسُ صَارتْ خَلْفَنَا.

لكن نجده بعد وهلة من الزمن يغير سيرورة الحدث من فعل التشاؤم إلى فعل التفاؤل يقول: [2]

والعَيْنُ تُبصرُهَا بِمرْآةِ اليَمِينْ.

تَغَيرَتْ أَلوَانُهَا فِي الشَّمسِ، مِنْ قَبلِ الغِيَابِ.

فعبارة بـــ " مرآة اليمين " لم تدل على مكون من مكونات السيارة، وإنَّما دلّت على الأمل والتفاؤل الذي مس شعور الكاتب ؛ وكأنه يقول للقدس رغم مغادرتي وبعدي عنك اليوم سيأتي يوم آخر أعود فيه إليك، وذلك اليوم ستكونين فيه حرة كسابق عهدك، وكأنك لم تدنسي من قبل، كما دلت هذه العبارة عن مفهوم التفاؤل في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾. [سورة الحاقة الآية 19].

كما دل كذلك على عامل التفاؤل عبارة "من قبل الغياب" إذ لا يقصد بالغياب غروب الشمس بل يقصد بها القدس قبل السقوط النهائي، ثم يواصل الشاعر تفاؤله بقوله: [3]

إذْ فَاجأَتْنِي بَسْمَةٌ لمْ أدْرِ كَيفَ تَسَللتَ للوَجهْ.

قَالَتْ لِي وَقدْ أَمْعَنتُ مَا أَمْعَنتْ.

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص12.

[2] – المصدر نفسه. ص12.

[3] – المصدر نفسه. ص12.

بعدها ينتقل لمحاورة اليهود بقوله:[1]

يَا أيُهَا البَاكِي وَراءَ السُّورِ، أحْمقُ أَنْتَ ؟

أَجُننتَ ؟

فكلمة " الباكي " وعبارة " وراء السور " تمثلت في اليهود، وحائط المبكي الذي يمثل مكانا مقدسا بالنسبة للصهاينة، وكأن الشاعر في مخاطبته لهم يقول أنه لا حق لكم في ممارسة طقوسكم ببلد ليس ببلدكم ودل على ذلك قوله: أحمق أنت ؟ أجننت ؟

ثم ينتقل بمحاورته إلى الطرف الثاني (الفلسطيني) بقوله: [2]

لاَ تَبكِ عَينكُ أيهَا المَنسِّي مِنْ مَتنِ الكِتَابْ.

فعبّرت كلمة المنسّي على فلسطين، وكأنه في حديثه عنهم يقول لهم لا أحد أهل لبلادكم منكم، فأنتم أهلها وسكانها الأصليون ولا حق لأحد غيركم أنّ يشارككم فيما هو ملك لكم، ودل على ذلك قوله: [3]

فِي القُدسِ مَنْ فِي القُدسُ لَكِنْ

لاَ أَرَى فِي القُدسِ إلاَ أَنتْ

---

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص12.

[2] – المصدر نفسه. ص12

[3] – المصدر نفسه. ص12.

- التأويل الثاني للمقطع الخامس عشر: هامشية الحوار الذاتي أو ما يعرف بالمنولوغ (Manolog):

لقد برزت براعة الشاعر تميم البرغوثي وبدت أكثر وضوحا من خلال تصويره للأحداث في هذا المقطع بطريقة مذهلة ؛ إذ أنه جعل ختام القصيدة مفتوحا على عدة تأويلات.

وضع الشاعر نفسه في هذا المقطع مكان كل فلسطيني، بحيث أنه قام بتجسيد تعلق العربي بالقدس في شخصه يقول: [1]

لاَ تَبكِ أيهَا العَرَبِي.

وكأنه بهذه العبارة يجعل من موقفه الموقف نفسه لدى كل فلسطيني ضد الاحتلال الصهيوني، وقد دلّ على ذلك فعل " أمعنت " إذ أنّ الإمعان لا يكون إلا عن رغبة وحب، وهو الحال بالنسبة لكل الفلسطنيين الذين يتقربون الاستقلال، والحرية بفارغ الصبر.

[1] – تميم البرغوثي، الديوان. ص12.

خاتـــــــــــمة

يعيش المجتمع صراع المركز والهامش، فكل ما هو هامشي يطمح أن يكون له مركز، وكل ما هو مركزي يحاول المحافظة على مركزيته . وبعد عرضنا في هذا البحث المتواضع لمفهوم المركز والهامش، واستخراجنا للدلالات الهامشية الكامنة في القصيدة خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها :

- تضفي الدلالة الهامشية على النص جمالية ولمسه فريدة من نوعها، هذا ما يجعل الكاتب يكثف جهوده للوصول إلى مختلف تلك الدلالات، وبالتالي تحقيق عنصر المتعة والذوق الأدبي.

- تعد سلاحا للكاتب الغير ملموس، والغير مباشر في توصيله لمختلف الرسائل التي يريد الإفصاح عنها في شكل شفرات وبالأخص في المجال السياسي.

- تفتح باب التأويل ؛ بحيث يمكن أن يكون للموضوع الواحد عدة قراءات كما تزيد من الرصيد المعجمي لدى الكاتب؛ بحيث أنّها تفرض عليه استعمال ألفاظ ومفردات يحقق من خلالها فرادته التي يتميز بها عن كاتب آخر، وهذه القراءة يهتم بها علم المفردات الخاص الذي يُعنى بدوره بدراسة لغة كاتب معين.

- تجعل الكاتب يستعين بمعاجم على غرار أخرى، فغالبا ما يلجأ إلى معاجم الموضوعات التي تمده بمفردات تخدم عمله الفني ؛ فمثلا إذا ما أراد استعمال صفة القمر يتجه نحو معاجم الموضوعات ويبحث في ذلك الباب ليجد بدر، هلال ...

- تتوزع الدّلالات الهامشيّة في مقاطع قصيدة "في القدس" من بدايتها إلى نهايتها.

- في حديث تميم البرغوثي عن القدس يحاول إبراز بعض الدّلالات التي يختفي ورائها العربي بحجة القدسية، وعدم القدرة.

- يغلب على القصيدة حب العودة وإرادة الحرية، وجعل هذا المَعْلَمِ الديني يعود إلى قدسيته وهيبته.

- يُعدِّد لنا تميم البرغوثي صفات تبرز جمال القدس، والذي يُعدُّ بدوره دلالة هامشية أخرى تُولِّد فينا رغبة تتمثل في حب رؤية هذا السرح الديني؛ أي زيارة بيت المقدس.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم:**

- برواية حفص عن عاصم

- **المصادر**

1- أبو البركات بن الانباري، الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. تح: جودة مبروك محمد مبروك، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1 2002م.

2- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة. تح: عبد السلام هارون، ج2، مادة ركز، دار الفكر، 1979م.

3- أبو نواس الحسن بن هانئ، الديوان. تح: أحمد عبد المجيد الغزالي، قصيدة بكاء وضحك، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، دط.

4- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة. تح: عبد السلام هارون ج 14، باب الدال واللام، الدار المصرية، القاهرة مصر ط 1979م.

5- تميم البرغوثي، الديوان في القدس. دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2009م.

6- جاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين. ج2، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط7، 1998م.

7- جرول بن أوس بن مالك بن جؤية بن مخزوم بن غالب بن قطعة بن عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن غبلان بن مضر بن نزار الملقب بالحطيئة، ديوان الحطيئة. شر: ابن السكيت، تب: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993م.

8- جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، التلخيص في علوم البلاغة. شر: عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، بيروت ط2، 1932م.

9- شريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات. باب الدال، مكتبة لبنان، بيروت ط 1985.

10- علي بن الجهم، الديوان. تح، خليل مردم، لجنة التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2، دس.

11- عنترة بن معاوية بن قراد العبسي، ديوان عنتر. مطبعة الآداب، بيروت، دط 1993م.

12- فيروز أبادي، الشيرازي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط. ج3، فصل الدال، باب اللام، مادة (دلّ) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1979م.

13- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط. مادة دلَّ، مكتبة الشروق العربية، مصر، ط4، 2004م.

14- محمد أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر. شر: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

15- منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب. ج1 مادة د-ل-ل دار صادر. بيروت لبنان.

16- يزيد بن معاوية، الديوان. قصيدة خذوا بدمي ذات الوشاح، دار صادر، بيروت، ط1.

- المراجع

1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلومصرية ط5، 1984م.

2- أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب مع دراسته لقضيته التأثير والتأثر. عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط6، 1968م.

3- أحمد مختار عمر، صناعة المعجم الحديث. عالم الكتب، القاهرة، ط2، 2009م.

4- أحمد مختار عمر، علم الدلالة. عالم الكتب، القاهرة، مصر ط1 .1985م

5- برنار توسان، ماهي السمير لوجيا. تر: محمد نظيف، مطابع إفريقيا الشرق، ط3، 2016م.

6- جيلالي بوعافية، علم صناعة المعاجم مفهومه وقضاياه. مخبر المعالجة الآلية للغة العربية، تلمسان، نقلا عن alain rag le lescique emage et mocteles de ditionnaire a la lexcograhie ed armondcolin 1977

7- حازم كمال الدين، علم الدلالة المقارن. مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2007 م.

8- حلمي خليل، مقدمة لدراسة التراث المعجمي العربي. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2003م.

9- عبد السلام المسدي، التفكير اللسان في الحضارة العربية. الدار العربية للكتاب، تونس ط2، 1986م.

10- علي القاسمي، المعجمية العربية بين النظرية والتطبيق. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان ط1، 2003م.

11- علي القاسمي، علم اللغة وصناعة المعجم. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط3، 2004م.

12- فرديناند دوسوسير، علم اللغة العام. تر: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، ط3.

13- م.م لويس، اللغة في المجتمع. تر: تمام حسان – إبراهيم أنيس، دار إحياء الكتب العربية، 1959م.

14- محمد بن عياد وآخرون، دروب السمياء. المطبعة الرسمية للبلاد التونسية، صفاقص، تونس، ط1، 2008م

15- محمد رشاد الحمزاوي، مقدمة نظرية ومطبقة مصطلحها ومفاهيمها. مركز النشر الجامعي، تونس، 2004م

16- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، أنظمة الدلالة في العربية. دار المدار الإسلامي ط2، 2007م

17- منقور عبد الجليل، علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي. اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا 2001م.

18- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. تق: علي الحمد، دار الأصل، الأردن، ط1، 2007م.

- المصادر الأجنبية

- Alain rag le lescique emage et mocteles de ditionnaire a la lexcograhie ed armondcolin 1977.

- **الرسائل الجامعية**

1- محمد بوادي، ألفاظ العقائد والعادات والمعاملات في صحيح البخاري دراسة دلالية. أطروحة دكتوراه، جامعة عباس فرحات، سطيف، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، دس.

2- وردة عبد العظيم عطا الله قنديل، البنيوية وما بعدها بين التأصيل الغربي والتحصيل العربي. مذكرة ماجستير، الجامعة الإسلامية، كلية الآداب، غزة، فلسطين 2010م.

- **المجلات والدوريات**

1- خضر أكبر حسن كصير الأصالة البحث الدلالي عند العرب من حيث النشأة وتطور التأليف مجلة جامعة تكريت للعلوم، كلية الإدارة و الاقتصاد، المجلد 19. العدد12.

2- هواري بن قندوز، مدخل الي السيميائيات التداولية، إسهامات بيرس وشارل موريس، كلية الآداب، جامعة مستغانم، الجزائر.

الملاحق

تميم البرغوثي

في القدس

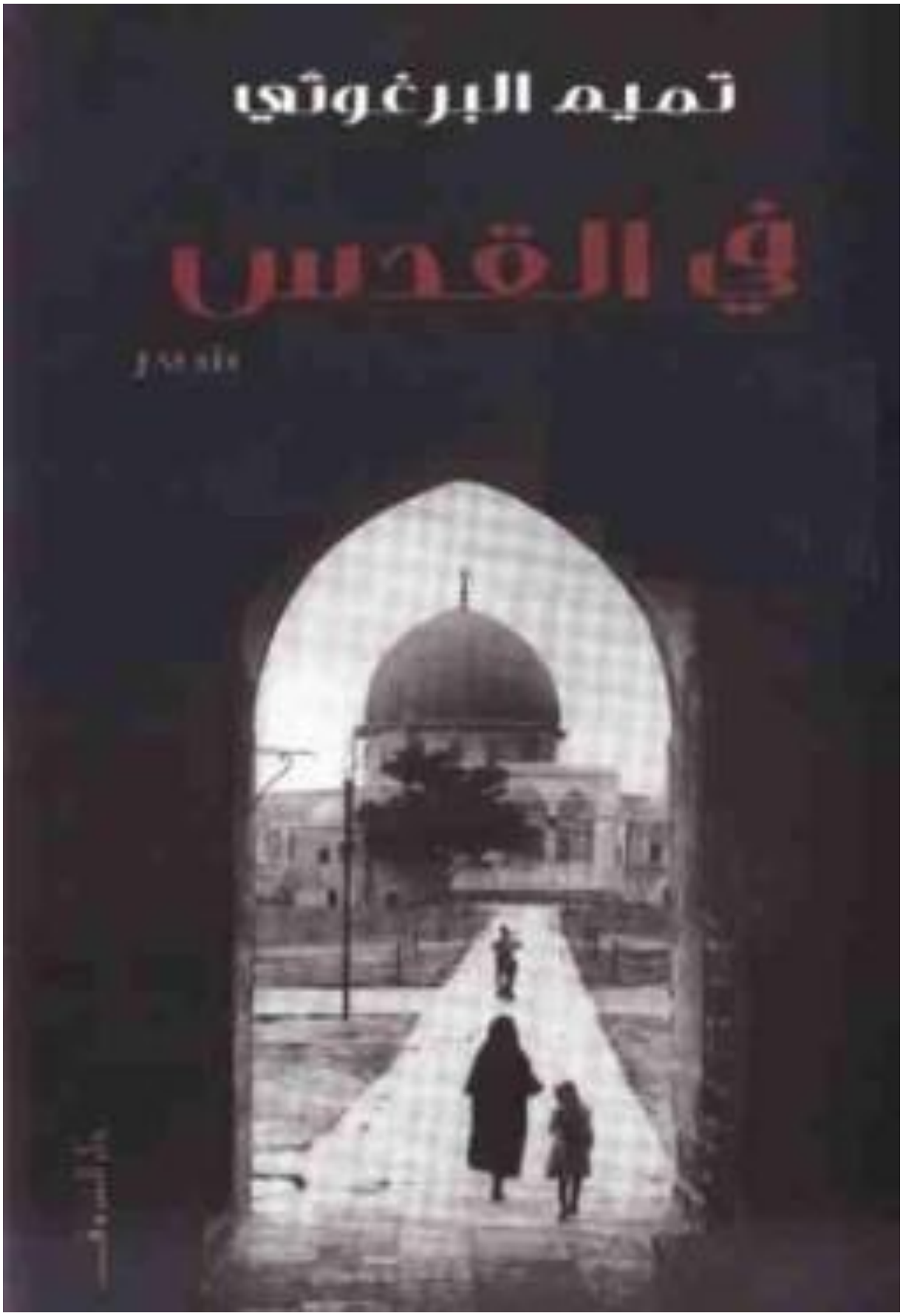

قصيدة:

(في القدس) ل: تميم البرغوثي

حقوق النشر محفوظة
٢٠١١-٢٠١٢

www.alkottob.com

في القدس

مَرَرْنا عَلــى دارِ الحبيب فرَدَّنا
عَنِ الدارِ قانونُ الأعادي وسورُها
فَقُلْتُ لنفســي: رُبما هِيَ نِعْمَةٌ
فماذا تَرَى في القدسِ حينَ تَزُورُه
تَرَى كُلَّ ما لا تستطيعُ احتِمالَهُ
إذا ما بَدَتْ من جَانِبِ الدَّرْبِ دورُها
وما كلُّ نفسٍ حينَ تَلْقَى حَبِيبَها تُسَرُّ
ولا كُلُّ الغِيابِ يُضِيرُها
فإن سرَّها قبلَ الفِراقِ لِقاؤُه
فليسَ بمأمونٍ عليها سرُورُها
متى تُبْصِرِ القدسَ العتيقةَ مَرَّةً
فسوفَ تراها العَيْنُ حَيْثُ تُدِيرُها

www.alkottob.com

في القدسِ، بائعُ خضرةٍ من جورجيا بَرِمٌ بزوجته
يفكرُ في قضاءِ إجازةٍ أو في طلاءِ البيتْ
في القدس، توراةٌ وكهلٌ جاءَ من مَنْهاتِنَ العُليا يُفَقِّهُ فتيةَ البُولُون في أحكامها
في القدسِ شرطيٌ من الأحباشِ يُعْلِقُ شَارِعًا في السوق،
رشَّاشٌ على مستوطنٍ لم يبلغِ العشرينَ،
قُبَّعةٌ تُحَيِّي حائطَ المبكَى،
وسياحٌ من الإفرنج شُقْرٌ لا يَرَوْنَ القدسَ إطلاقًا
تَراهُم يأخذونَ لبعضهم صُوَرًا مَعَ امْرَأةٍ تبيعُ الفِجْلَ في الساحاتِ طُولَ اليَومْ
في القدسِ دَبَّ الجندُ مُنْتَعِلِينَ فوقَ الغَيمْ
في القدسِ صَلَّينا على الأسْفَلْتْ
في القدسِ مَن في القدسِ إلا أنْتْ!

وَتَلَقَّتَ التاريخُ لي مُتَبَسِّمًا
أظْنَنْتَ حقًا أنَّ عينَك سوفَ تخطئهم! وتبصرُ غيرَهم
ها هُم أمامَكَ، مَتْنُ نصٍّ أنتَ حاشيةٌ عليهِ وَهَامشٌ
أحَسبتَ أنَّ زيارةً ستُزيحُ عن وجهِ المدينةِ، يا بُنَيَّ، حجابَ واقِعِها السميكَ
لكي ترى فيها هَواكْ

www.alkottob.com

في القدسِ كلُّ فتىً سواكْ
وهي الغزالةُ في المدى، حَكَمَ الزمانُ بِبَيْنِها
ما زِلتَ تَرْكُضُ إثْرَهَا مُذْ وَدَّعَتْكَ بِعَيْنِها
رفقًا بِنَفسكَ ساعةً إني أراكَ وَهَنْتْ
في القدسِ من في القدسِ إلا أنْتْ!

يا كاتبَ التاريخِ مَهْلاً، فالمدينةُ دهرُها دهرانِ
دهر أجنبي مطمئنٌ لا يغيرُ خطوَه وكأنَّه يمشي خلالَ النومْ
وهناك دهرٌ، كامنٌ متلثمٌ يمشي بلا صوتٍ حِذار القومْ
والقدس تعرف نفسها..
اسأل هناك الخلق يدْلُلْكَ الجميعُ
فكلُّ شيء في المدينة
ذو لسانٍ، حين تَسألُهُ يُبينْ
في القدس يزدادُ الهلالُ تقوسًا مثلَ الجنينْ
حَدْبًا على أشباهه فوقَ القبابِ
تَطوَّرَتْ ما بَيْنَهم عَبْرَ السنينَ عِلاقةُ الأبِ بالبَنينْ
في القدس أبنيةٌ حجارتُها اقتباساتٌ من الإنجيلِ والقرآنْ

www.alkottob.com

في القدس تعريفُ الجمالِ مُتَمَّنُ الأضلاع أزرقُ،
فَوْقَهُ ـ يا دامَ عِزُّكَ ـ قُبَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ،
تبدو، برأيي، مثل مرآة محدبة ترى وجه السماء مُلَخَّصًا فيها
تُدَلِّلُها وَتُدْنِيها
تُوَزِّعُها كَأَكْياسِ المعُونَةِ في الحِصَارِ لمستَحِقِّيها
إذا ما أُمَّةٌ من بعدِ خُطْبَةِ جُمْعَةٍ مَدَّتْ بِأَيْدِيها
وفي القدس السماءُ تَفَرَّقَتْ في الناسِ تحمينا ونحميها
ونحملُها على أكتافِنا حَمْلاً إذا جَارَت على أقمارِها الأزمانْ
في القدس أعمدةُ الرُّخامِ الداكناتُ
كأنَّ تعريقَ الرُّخامِ دخانْ
ونوافذٌ تعلو المساجدَ والكنائس،
أَمْسَكَتْ بيدِ الصَّباحِ تُرِيهِ كيفَ النقشُ بالألوانِ،
وَهْوَ يقول: "لا بل هكذا"،
فَتَقُولُ: "لا بل هكذا"،
حتى إذا طال الخلافُ تقاسما
فالصبحُ حُرٌّ خارجَ العَتَبَاتِ لَكِنْ
إن أرادَ دخولَها
فَعَلَيهِ أن يَرْضَى بحُكْمِ نوافذِ الرَّحمنْ

www.alkottob.com

في القدس مدرسةٌ لمملوكٍ أتى مما وراءَ النهرِ،
باعوهُ بسوقِ نِخَاسَةٍ في إصفهانَ لتاجرٍ من أهلِ بغدادٍ
أتى حلبًا فخافَ أميرُها من زُرْقَةٍ في عَيْنِهِ اليُسْرَى،
فأعطاهُ لقافلةٍ أتت مصرًا
فأصبحَ بعدَ بضعِ سنينَ غَلاَّبَ المغولِ وصاحبَ السلطانْ

في القدس رائحةٌ تُلَخِّصُ بابلاً والهندَ في دكانِ عطَّارٍ بخانِ الزيتْ
واللهِ رائحةٌ لها لغةٌ سَتَفْهَمُها إذا أصْغَيتْ
وتقولُ لي إذ يطلقونَ قنابل الغاز المسيِّلِ للدموعِ عَلَيَّ: "لا تحفل بهم"
وتفوحُ من بعدِ انحسارِ الغازِ، وَهْيَ تقولُ لي: "أرأيتْ!"

في القدس يرتاحُ التناقضُ، والعجائبُ ليسَ ينكرُها العِبادُ،
كأنها قِطَعُ القِمَاشِ يُقَلِّبُونَ قَدِيمها وَجَدِيدَها،
والمعجزاتُ هناكَ تُلْمَسُ باليَدَيْنْ
في القدس لو صافحتَ شيخًا أو لمستَ بنايةً
لَوَجَدْتَ منقوشًا على كَفَّيكَ نَصَّ قصيدَةٍ،
ـ يا بْنَ الكرامِ ـ أو اثْنَتَيْنْ

www.alkottob.com

في القدس، رغمَ تتابعِ النَّكَباتِ، ريحُ براءةٍ في الجوِّ، ريحُ طُفُولَةٍ،
فَتَرى الحمامَ يَطِيرُ يُعلِنُ دَوْلَةً في الريحِ بَيْنَ رَصَاصَتَيْنْ

في القدس تنتظمُ القبورُ، كأنهنَّ سطورُ تاريخِ المدينةِ والكتابُ ترابُها
الكل مرُّوا من هُنا
فالقدسُ تقبلُ من أتاها كافرًا أو مؤمنا
أُمرر بها واقرأ شواهدَها بكلِّ لغاتِ أهلِ الأرض
فيها الزنجُ والإفرنجُ والقِفْجَاقُ والصِّقْلابُ والبُشْنَاقُ
والتتارُ والأتراكُ؛ أهلُ الله والهلاك، والفقراءُ والملاك، والفجارُ والنساكُ،
فيها كلُّ من وطئَ الثَّرى
كانوا الهوامشَ في الكتابِ فأصبحوا نَصَّ المدينةِ قبلنا
يا كاتبَ التاريخِ ماذا جَدَّ فاستثنيتنا؟!
يا شيخُ فلتُعِدِ الكتابة والقراءةَ مرةً أخرى، أراك لَحَنْتْ

العين تُغْمِضُ، ثمَّ تنظُرُ..
سائقُ السيارةِ الصفراءِ مالَ بنا شَمالاً نائيًا عن بابها
والقدسُ صارت خلفنا
والعينُ تبصرُها بمرآةِ اليمين،

www.alkottob.com

تَغَيَّرَتْ ألوانُها في الشمسِ، مِنْ قبلِ الغيابْ
إذ فاجَأْتني بسمةٌ لم أدْرِ كيفَ تَسَلَّلَتْ للوَجْهِ
قالت لي وقد أمْعَنْتُ ما أمْعنْتْ
يا أيها الباكي وراءَ السورِ،
أحمقُ أنْتْ؟!
أجُنِنْتْ؟!
لا تبكِ عينُكَ أيها المنسيُّ من متنِ الكتابْ
لا تبكِ عينُكَ أيها العَرَبِيُّ واعلمْ أنَّهُ..
في القدسِ من في القدسِ لكنْ
لا أرَى في القدسِ إلا أنْتْ..!

تميم البرغوثي

www.alkottob.com

قام بالكتابة والنشر:

Yasser Alwani

http://alwani-educational.alafdal.net

yasserheroman@hotmail.com

www.alkottob.com

فهرس المخططات

فهرس المخططات

عنوان المخطط	الصفحة
✓ مخطط يوضح تقسيمات المعجمية.	21
✓ مخطط يوضح: مكونات المعنى.	24
✓ مخطط يوضح: هامشية رموز الاحتلال ومعارضيهم من المسلمين.	41
✓ مخطط يوضح: هامشية الرمز التّاريخي الظاهر بيبرس.	49

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

خطة البحث	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: بين علم الدلالة وعلم المناجم	
1- الدلالة	**06**
1 – 1 – الدلالة لغة	**06**
1 – 2 – الدلالة في الإصطالح	**07**
1- 3- علم الدّلالة عند الغربيين	**12**
2- المعجم	**17**
2- 1- المعجم لغة	**17**
2- 2- المعجم في الاصطلاح	**19**
2- 3- علم المعاجم	**20**
2- 4- بين علم الدّلالة وعلم المعاجم	**23**
3- المركز والهامش في الدّلالة	**26**
3- 1- مفهوم المركز والهامش لغة	**26**
3- 2- الدّلالة المركزية والدّلالة الهامشية عند إبراهيم أنيس	**28**
3- 3- الفرق بين الدّلالة الهامشية والدّلالة المركزية	**29**
3- 4- كيفية اكتساب الكلمة دلالة هامشية	**29**
3- 5- نوعا الدّلالة الهامشية	**30**
1- الدّلالة الهامشية الاجتماعية	**30**
2- الدّلالة الهامشية الفردية	**31**
3- 6- أهمية الدّلالة الهامشية ومدى تأثيرها في المجال الأدبي	**32**
الفصل الثاني: تجليات الدلالة الهامشية في القصيدة	
1- تجليات الدّلالة الهامشية في القصيدة	**35**

فهرس الموضوعات

2- هامشية العنوان	**37**
3- مقاطع القصيدة	**38**
- المقطع الأول: من القصيدة هامشية الحبيبة	**38**
- المقطع الثاني: هامشية الرموز	**39**
- المقطع الثالث: هامشية التّاريخ	**41**
- المقطع الرابع: رمزية الثبات	**42**
- المقطع الخامس: رمزية الاعتزاز بالمكان والهوية	**43**
- المقطع السادس: هامشية القرابة	**44**
- المقطع السابع: هامشية روحية قبة الصخرة	**45**
- المقطع الثامن: هامشية الصراع بين الأمل والحرب	**46**
- المقطع التاسع: هامشية الظاهر بيبرس	**48**
- المقطع العاشر: هامشية الإصغاء	**49**
- المقطع الحادي عشر: هامشية البقاء	**50**
- المقطع الثاني عشر: هامشية المكانة والقيمة	**51**
- الثالث عشر: هامشية التفاؤل	**52**
- المقطع الرابع عشر: هامشية الوجهة	**54**
- المقطع الخامس عشر: هامشية الصراع بين التشاؤم والتفاؤل	**56**
خاتمة	**61**
✓ **قائمة المصادر والمراجع**	**64**
✓ **الملاحق**	/
✓ **فهرس المخططات**	/
✓ **فهرس الموضوعات**	/
✓ **الملخص**	/

ملخـــــــــص الدراسة

اتسع مجال البحث العربي ليشمل مجموعة من العلوم التي تدرس اللّغة العربية، ومن بين هذه المجالات الدرس الدّلالي الذي لم يظهر كعلم قار بذاته في الدراسات العربية إلاّ بعد تأثره بما جاء في الدراسات الغربية، لكنّه رغم ذلك كان زاخرا بمباحث كانت في صميم الدّلالة كالترادف، والمشترك والتضاد ... وغيرها من القضايا التي يثيرها البحث الدّلالي.

وقد كان البحث تحت إطار الدّلالة بمباحثها خاصة الدّلالة المعجميّة التي يمكن من خلالها الوصول إلى المعاني والدّلالات الهامشية التي لا تظهر للعيان، وبالتالي تساهم في الوصول إلى كل مخبوء مستور، كما تعمل على إزالة كل غموض.

ومن أجل الوصول إلى الدّلالات الهامشية في قصيدة " في القدس " لتميم البرغوثي اخترنا الخوض في البحث عن هذه الدّلالات عنده، وبالتالي محاولة الكشف عن سبب وكيفيّة اكتساب الدّلالة المركزية دلالة هامشية، كما أنّ للدّلالة المعجميّة أهميّة عظيمة داخل البحوث المعجميّة والدّلالية منها، وذلك من خلال علاقة الدّلالة بالمعجم، ومدى أهمية هذه الدّلالة في إبراز ما هو هامشي في مختلف الأعمال الأدبيّة الشعريّة والنثريّة منها.

ومن خلال التّقاطع الذي تعرفه الدّلالة والمعجميّة توّلد ما اصطلحنا عليه بالدّلالات الهامشيّة التي حاولنا الكشف عنها بتحليلنا للنموذج الذي كان مناسبا، ويضم مختلف القضايا التي ناقشها العمل بمختلف مراحله.

Summary

The field of Arab research has expanded to cover a grow of science that study the Arab language. Among these fields, The Semantic which didn't appear as a dependent science in Arabic studies but after being influenced by western studies. But never Therese, it was so subtle that it was at the core of significance of the synonyms; commonalities, and other issues raised by semantic research.

The research has been under the framework of significance of its aspects, particularly the lexical significance through which we can reach the meanings and marginal indications that are not visible and thus contributes to access what is hidden and works to remove all ambiguity.

In order to reach the marginal signs in the poem untitled "In El-Kods" of Tamim El berghothi, we choose to look for these indications in his work. The attempt is to discover why and how can an acquisitive central significance be marginal.

Be sides to that, lexical significance has a great importance in Linguistic and semantic researches through that relation ship between significance and glossary, Significance shows also what's marginal in various poetic prose literary works.

The intersection between the significance and lexicon generated what we called marginal connotation which we tried to disclose by analyzing the model that was appropriate and includes the various issues discussed in different stages of the wotk.